ٱلدِّيوَانُ ٱلثَّالِثُ

رِسَالَةُ ٱلشَّرْقِ

پیام مشرق

نَقَلَهُ إِلَى ٱلعَرَبِيَّة

الدكتور عبد الوهاب عزام

الٹ جائیں گی تدبیریں، بدل جائیں گی تقدیریں
حقیقت ہے، نہیں میرے تخیّل کی یہ خلاّقی!

طبع هذا الدِّيوان أوَّل مرّة باللغة الفارسية عام ١٩٢٣م ، وكتب الشَّاعر فوق عنوان الديوان : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ [البقرة : ١١٥] وكتب تحته : « جواب ديوان الشاعر جوته » .

وقدَّم محمد إقبال هذا الدِّيوان على أنَّه شعر الفارسيَّة الكامل ، لأنَّه قدَّم إلى القارىء اللغة الفارسية في مجموعة من الأشعار تحتوي على مختلف أقسام الشِّعر الفارسي من الغزل والرُّباعي والبيتي والقطع والمثنوي وغيرها ، ويُصادفنا في الديوانِ الشعرُ الأخلاقي والحركات السياسية والاجتماعية لذلك الوقت .

والدِّيوان روضةٌ من الشِّعر تختلف أزهارها ، ونوارها ، وضروب النبات فيها وألوان وصنوف الرَّيحان فيها ، وروائحه جمعت أشتات الزهر من المشرق والمغرب .

* * *

محتوى الديوان

يشتمل هذا الديوان على هذه الأقسام :

القسم الأول : شقائق الطور ، وهي رباعيات .

القسم الثاني : الأفكار ، وهي إحدى وخمسون قطعة وقصيدة .

القسم الثالث : الخمر الباقية ، وهي قصائد صوفية ، رمزية من الضَّرب الّذي يسمَّى في اصطلاح الأدب الفارسي والأردوي غزلًا ، وهو غير الاصطلاح العربي ، وعدد الغزليات في هذا القسم خمسٌ وأربعون .

القسم الرابع : نقش الفرنج ، وهي أربع وعشرون قطعة وقصيدة ، يذكر فيها الشَّاعر بعض شعراء أوربة وفلاسفتهم ، وينقد مذاهبهم وآراءهم ، فيقبل منها ويردّ .

القسم الخامس : الدَّقائق ، وهي قطع صغيرة ، وأبيات مفردة ألحقها الشاعر بهذا الدِّيوان . وقد ترجم هذا الديوان بكامله إلى العربيَّة شعراً الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام ، وهو يُقدَّم إليكَ الآن مع مقدمة الشاعر .

* * *

مقدمة محمد إقبال[1]

لديوان « رسالة الشرق »

نظمتُ بيام مشرق لأجيب به الديوان الغربي لفيلسوف الحياة الألماني جوته الذي يقول فيه الشاعر الألماني الإسرائيلي هاينا :

« هذه باقةٌ من العقائد يرسلها المغرب إلى المشرق ويتبين من هذا الديوان أنَّ المغرب ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة فتطلع إلى الاقتباس من صدر المشرق » .

ما المؤثرات وما الأحوال التي كتب فيها جوته هذه المجموعة من الأشعار التي هي أحسن آثاره ، والتي سمَّاها هو باسم « الديوان » .

لا بدَّ للإجابة عن هذا السؤال أن نبين إجمالاً هذا التأثير الذي سمي في تاريخ الأدب الألماني التأثير الشرقي . وددت أن أفصِّل في هذه المقدمة الكلام في هذا التأثير ، ولكن المراجع الكثيرة التي يحتاج إليها في هذا البحث لم تتيسر في الهند . وقد بين بال هورن مؤلف تاريخ آداب إيران في مقالٍ له مقدار ما كان جوته مديناً لشعراء الفرس . ولكن العدد المشتمل على هذا المقال من مجلة نارو أندسود لم يمكن الحصول عليه في خزانة كتب في الهند ، ولا من ألمانيا . فلا مناص من أن أعتمد في كتابة هذه المقدمة على ما أذكر من دراستي السابقة وعلى الرسالة المختصرة المفيدة البارعة التي كتبها في هذا الموضوع مستر « شارلس ريمي » .

كانت طبيعة جوته المتطلعة تميل منذ الحداثة نحو الأفكار الشرقية ، وفي

---

(١) كتبها محمد إقبال بالأردوية ، ونقلها إلى العربية خلال ترجمة هذا الديوان الأستاذُ الدكتور عبدُ الوهاب عزَّام .

استراسبورج حيث كان يتعلَّم القانون لقي هردر ذا المكانة والصيت في الأدب الألماني . ويعترف جوته في سوانحه بما تركت صحبة هردر في نفسه .

لم يكن هردر يعرف الفارسيَّة ، ولكن لغلبة النزعة الأخلاقية عليه كان لكتب سعدي أثر بليغ في نفسه حتَّى ترجم بعض فصول كلستان إلى اللغة الألمانية . ولم يكن لحافظ الشيرازي هذه المكانة عنده ، وهو يقول داعياً معاصريه : قد غنينا كثيراً على أسلوب حافظ وقد وجب الآن أن نقتدي بسعدي . ولكن مع حب هردر الآداب الشرقية هذا الحبَّ لا يُعرف في شعره أو مؤلفاته الأخرى أثرٌ من هذه الآداب . وكذلك كان شلر معاصر جوته الثاني بعيداً عن تأثير الشرقيين . وقد مات قبل ظهور التأثير الشَّرقي ، وينبغي ألا نغفل عن هذه المسألة : إنَّ قصتَه « توران دخت » أخذت خطتها من قصة بنت سلطان الإقليم الرابع التي كتبها نظامي الكنجوي في « هفت پيكر » واستهلَّها بقوله :

كفت كز جملهٔ ولايت روس
بود شهري بنيكوئي چو عروس

***

وسنة ١٨١٢ نشر فون همر ترجمةً كاملةً لديوان حافظ : وبهذه الترجمة ابتدأ التأثير الشرقي في آداب الألمان . وكان عُمُر جوته إذ ذاك خمساً وستين سنة . وكان هذا على حين بلغ انحطاط الألمان غايته في كلِّ ناحية . لم تكن طبيعة جوته مهيأة للمشاركة عملاً في الحركات السياسية في وطنه ، فلما ضاق بالاضطراب الشائع في أوروبة أخذت روحه القلقة المحلقة تلتمس عشاءً في فضاء الشرق الساكن الآمن .

وقد أثارت أناشيد حافظ هياجاً كبيراً في أفكاره ، فاختار آخر الأمر « للديوان الغربي » صورةً متميزة ثابتة ، ولكن ترجمة فون همر لم تكن مؤثرةً في جوته فحسب ، بل كانت مأخذاً لخيالاته العجيبة الغربية ، فيبدو نظمه أحياناً كأنَّه ترجمةٌ حرَّةٌ من شعر حافظ ، وأحياناً تجد قوةَ تخيُّله في مصرعٍ

واحدٍ مهيعاً جديداً تنير فيه مسائل في الحياة بالغةً في الدِّقة والصُّعوبة .

يقول بيل شوسكي كاتب سوانح جوته المعروف :

كان جوته يرى صورته في نغمات بلبل شيراز ، وكان يخطر له بين الحين والحين أنَّ روحه لبست صورة حافظ ، فعاشت في بلاد الشرق . فنحن نجده شبيه حافظ في ذلك السُّرور الأرضي ، وتلك المحبة السَّماوية ، وذلك اليسر ، وذلك العمق ، وذلك الغليانَ والتوقد ، وتلك السَّعة في المذهب ، وهذا النُّور القلبي ، وذلك التحرُّر من الرسوم والقيود . بل في كلِّ أمر حافظ ، لسان الغيب ، وترجمان الأسرار ، وكذلك جوته . ولحافظ عالم من المعاني في ألفاظٍ بسيطةٍ في ظاهرها ، وكذلك في طريقة جوتِه المطبوعة تتجلَّى الحقائق والأسرار ، وكلاهما نال إعجاب الأمير والصعلوك ، وكلاهما أثَّر في فاتحي عصره العظام « يعني حافظ في تيمور ، وجوته في نبوليون »[1] وكلاهما في عصر اضطرابٍ عامٍّ وخراب ، حافظ على السكون والطمأنينة في قلبه مبتهجاً بالمضيِّ في ترنمه القديم .

ثم جوته مدينٌ في أفكاره لغير حافظ : للشيخ عطار ، وسعدي ، والفردوسي ، وللأدب الإسلامي عامَّةً . فقد كتب في بعض المواضع غزلًا في قيود القافية والرديف ، وهو يستعمل في لغته استعاراتٍ فارسيَّةً بغير تكلُّف مثل : جوهر الأشعار ، وسهام الأهداب ، والطرَّة المعقودة ، بل هو في فورة الفارسية لا يحترز من الإشارة إلى الولوع بالمرد . ثم أسماء أقسام الديوان فارسية كذلك مثل « مغنى نامه ـ ساقي نامه ـ عشق نامه ـ تيمور نامه ـ حكمت نامه ، وغيرها » ومع هذا كلِّه فليس هو مقلداً أيَّ شاعرٍ فارسيٍّ . فطرته الشعرية حرَّةٌ ولا ريب . وإنما غناؤه في مروج الشقائق المشرقية عرضيٌّ محض . وهو لا يفرط في غربيته ، وإنما يقع بصره وحده على الحقائق الشرقية التي تلائم

---

(١) لا تصحُّ رواية التقاء حافظ وتيمور فقد توفي الشاعر قبل أن يفتح تيمور شيراز .

فطرته الغربية . ولم يمل إلى التَّصوُّف العجمي قط . وكان يعلم أنَّ أشعار حافظ تفسر في المشرق تفسيراً صوفيّاً ، ولكنه لم يكلف إلا بالغزل محضاً ، ولم يهتم بالتفسير الصُّوفي في كلام حافظ أيَّ اهتمام .

وكانت معارف مولانا الرُّومي وحقائقه الفلسفية مبهمةً عنده . لا يمكن أن ينكر الرومي رجلٌ مدح سبنوزا (فيلسوف هولندي كان يقول بوحدة الوجود) وأعمل قلمه في الدفاع عن برونو (فيلسوف إيطالي وجودي) »[1] .

والخلاصة أنَّ جوته في الديوان المغربي اجتهد في إظهار الروح العجمية في الأدب الألماني .

* * *

وقد أكمل الأثر الشرقي الذي بدأ في ديوان جوته الشعراء الذين جاؤوا بعده : بلاتن ، وروكرت ، وبودن ستات .

فأمَّا بلاتن ؛ فقد تعلَّم الفارسيَّة لمقاصد أدبيَّةٍ ، ونظم غزلًا في القافية المردوفة ، بل في العروض الفارسي ، ونظم رباعيات ، ونظم قصيدةً في نبوليون . واستعمل الاستعارات الفارسية بغير تكلُّفٍ ، مثل جوته : عروس الورد ، والطرة المسكية ، وشقائق العذار . وهو مولع بالتغزُّل المحض كذلك .

وأمَّا روكرت ؛ فكان ماهراً في الألسنة الثلاثة : العربية ، والفارسية ، والسنسكريتية . وكان لفلسفة الرومي مكانةٌ عظيمةٌ في رأيه . وتأثير مولى الروم فيما كتب من غزلٍ كان أوضح ، وكانت مصادره من الأشعار الشرقية أوسع بما عرف من لغات الشرق .

وقد التقط لآلىء الحكمة من مخزن الأسرار لنظامي ، وبهارستان جامي ،

---

(١) يعني أنَّ الرومي كان من القائلين بوحدة الوجود ، فلو عرفه جوته لعني به ، كما عني بهذين الفيلسوفين .

وكليات أمير خسرو ، وكلستان سعدي ، ومناقب العارفين ، وعيار دانش ، ومنطق الطير ، وهفت قلزم ، بل زين كلامه بقصص وروايات إيرانية ترجع إلى ما قبل الإسلام . وقد أحسن نظم بعض واقعات التاريخ الإسلامي وأشخاصه مثل موت محمود الغزنوي ، وغزو محمود سومنات ، والسلطانة رضية[1] وموضوعات أخرى .

وأكثر شعراء الأسلوب الشرقي قبولاً بعد جوته : بودن ستات ؛ الذي نشر منظوماتٍ بالاسم المستعار « مرزا شفيع » وقد لقيت هذه المجموعة الصغيرة من القبول ما اقتضى طبعها مئة وأربعين مرة في مدَّةٍ قصيرة . أحسن هذا الشاعر تصوير الرُّوح العجمية حتى بقي الناس في ألمانيا زمناً طويلاً يحسبون أشعار مرزا شفيع ترجمة شعر فارسي .

وقد استفاد بودن ستات من أمير معزي ، وأنوري كذلك .

ولم أرد أن أذكر في هذا الصدد هاينا معاصر جوته المشهور ، إذ لم يكن في الجملة ذا صلةٍ بالتأثير الشَّرقي ، ولم يهتمَّ بما اقتبس شعراء ألمانيا من الشعر الشَّرقي إلا ديوان جوته ، على أنَّ الأثر العجمي بين في مجموعته المسماة « الأشعار الجديدة » وقد أجاد جداً في نظم قصة محمود ، والفردوسي ، ولكنَّ قلبَ هذا الشاعر الألماني الحرَّ لم يستطع الإفلات من شرك سحر العجم ، حتى لقد تصوَّر نفسه مرَّةً شاعراً إيرانياً أُجلي إلى ألمانيا يقول :

« يا فردوسي ! يا جامي ! يا سعدي ! إنَّ أخاكم في سجن الغم يخفق حنيناً إلى أزهار شيراز » .

ثم نذكر من مقلدي حافظ الأدنين منزلةً ، دومر ، هرمن ستال لوشكي ، ستابك ، لتز ، لنت هولد ، وفون شاك . وهذا الأخير كان ذا منزلةٍ عاليةٍ في العلـم ، ونظمه قصة إنصاف محمود الغزنوي ، وقصة هاروت وماروت

---

(١) من دولة المماليك التي قامت في دهلي .

مشهور . وأوضح الآثار في كلامه : أثر عمر الخيام .

وبعد فلا بدَّ من بحثٍ طويلٍ لكتابة تاريخ كامل لتأثير الشرق في الأدب الألماني ، والمقابلة بين شعراء إيران وألمانيا ، لتقدير أثر العجم تقديراً حقّاً ، ولكن لم يتيسَّر الوقت ، ولا العدَّة لهذا البحث . ولعلَّ هذا البحث المختصر يثير قلب أحد الشبان للتَّحقيق والتدقيق في هذا الشأن .

* * *

وأما « پيام مشرق » الذي كتب بعد « الديوان الغربي » بمئة سنة فلست في حاجة إلى الإبانة عنه . فسيرى الناظرون فيه بأنفسهم أنَّ أكثر ما يرمي إليه هو النظر في الحقائق الأخلاقية ، والدينية ، والمذهبية ؛ التي تتَّصل بالتربية الباطنية في الأفراد والأمم . ولا ريب أنَّ بين ألمانيا قبل مئة سنة وأحوال الشرق الحاضرة تشابهاً ما ، ولكن الحقيقة أنَّ الاضطراب الباطن في أمم العالم . . الذي لا نستطيع تقدير خطره لأننا متأثرون به ـ هو مقدمة انقلاب حضاري وروحاني عظيم جداً .

كانت الحرب العظمى التي قامت في أوربة قيامة كادت تمحو نظام العالم القديم من كل جوانبه . وأن الفطرة لتخلق اليوم في أعماق الحياة من رماد الحضارة والثقافة إنساناً جديداً وتخلق عالماً جديداً لإقامة هذا الإنسان . عالماً يرى هيكله غير البين في مؤلفات آين شتاين ، وبركسون .

لقد رأت أوربة بعينيها النتائج المخوفة لمثلها الاقتصادية ، والأخلاقية ، والعلمية . وسمعت من سنيور نيتي « الذي كان رئيس وزراء إيطالية » قصة « انحطاط الفرنج » المحزنة ، ولكن واأسفاه لم يستطع عبَّاد القديم الذين سمعوا حقائقه أن يقدروا الانقلاب المدهش الذي كان يثور في الضمير الإنساني .

وإذا نظرنا نظرةً أدبيةً خالصةً نرى أنَّ اضمحلال قوى الإنسان بعد الحرب لا ييسر نشوء مُثُلٍ روحيةٍ صحيحةٍ ناضجة . بل يخشى أن تغلب على طبائع

الناس هذه الإباحية المنهوكة الضعيفة الأعصاب التي تفرُّ من مصاعب الحياة ، والتي لا تميز بين نزعات القلب وأفكار العقل . لا شكَّ أنَّ أمريكا عنصر صحيح في الحضارة الغربية ، فلعلَّ هذا الإقليم خالص من قيود الروايات القديمة ، ولعلَّ وجدانه الاجتماعي يقبل راضياً الأفكار والنزعات الجديدة .

* * *

إنَّ الشَّرق ، ولا سيما الشَّرق الإسلامي ، يفتح عينيه بعد نوم القرون المتطاولة . ولكن يجب على أمم الشرق أن تتبيَّن أنَّ الحياة لا تستطيع أن تُبدِّل ما حولها حتى يكون تَبَدُّلٌ في أعماقها ، وأنَّ عالماً جديداً لا يستطيع أن يتخذ وجوده الخارجي حتى يوجد في ضمائر الناس قبلاً . هذا قانون الفطرة الثابت الذي بينه القرآن في كلماتٍ يسيرةٍ وبليغةٍ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] إنه قانونٌ يجمع جانبي الحياة كليهما الفردي والاجتماعي . وقد اجتهدت في كتبي الفارسية أن أبيِّن للناس صدقه ، وأنَّه لجدير بالإكبار كلُّ مسعىً في العالم ـ ولا سيما في بلاد الشرق ـ يقصد إلى أن يرفع أنظار الأفراد والجماعات فوق الحدود الجغرافية ، فيولد أو يجدد فيها سيرةً إنسانيةً صحيحةً قوية .

* * *

وأختم بالثناء على صديقي جودهري محمد حسين . ام . اي ، قد رتَّب مُسوَّدات « پيام مشرق » للطبع . ولولا احتماله هذه المشقة لكان عسى أن يتأخَّر نشرُ هذه المجموعة مدَّةً طويلة .

إقبال

* * *

عطا اسلاف کا جذبِ دروں کر
خِرد کی گتھیاں سُلجھا چکا میں
شریکِ زمرۂ لَایَحزَنُوں کر
مرے مولا مجھے صاحب جنوں کر!

القسم الأول

شَقَائِق الطُّور

عشقِ تباں سے ہاتھ اٹھا اپنی خودی میں ڈوب جا
نقش و نگارِ دیر میں خونِ جگر نہ کر تلف!

- ١ -

شَهيـدُ دَلالـه حَفْـلُ الـوجـود وكـلُّ الكـائنـاتِ مـن السُّجُـود[١]
ألـم تـرَ أنَّ شمـسَ الأُفـقِ لاحـتْ بـوجـهِ الصُّبـح مـن أثـر السُّجُـودِ ؟

- ٢ -

بقلبـي مـن تحـرُّقـه ضيـاءُ ويجلـو النُّـور فـي عينـي البكـاءُ
فـزاد مـن الحيـاة نـوىً غبـيٌّ يقـول : العشـقُ مـسٌّ أو هُـراءُ

- ٣ -

نسيـمُ العِشْـقِ فـي الجنَّـات جـارِ ويُنمـي العِشْـقُ أزهـار البـراري
ويختـرقُ البحـارَ لـه شعـاعٌ فيهـدي العشـقُ حيتـان البحـار

- ٤ -

رمـوزُ العِشْـقِ فـي ورَق الشقـائـقْ وغـمُّ العِشْـقِ فـي رُوحِ الخـلائـقْ
وإن تَصْـدَع طبـاقَ الأرض تُبصـر نصيبَ العِشْـقِ من دمِ كـلِّ عـاشِـقْ

- ٥ -

ومـا كـلٌّ لـه فـي الحُـبِّ كفـلُ ومـا كـلُّ الـوَرَى للحُـبِّ أهـلُ
علـى وَرَقِ الشَّقـائـق وَسْـمُ غـمّ ويخلـو مـنْ شـرار القَلـب لَعْـلُ[٢]

- ٦ -

بهـذا المـرْج مثـلَ الـرِّيـح[٣] أسْـري عـلامَ أهيـمُ فيـه ؟ لسـتُ أدري
فـإنْ أظفـرْ وإن أُخفـقْ فـإنّـي شهيـدُ تضـرُّمِ الآمـال عُمْـرِي

---

(١) جمع ساجد .
(٢) اللعل : أي العقيق .
(٣) الريح : الرائحة .

- ٧ -

يقول العندليبُ : أيا صحابي ! أغيرُ الغمِّ في هذا التراب ؟
يَشيخُ الشوكُ في عَرضِ الفيافي ويذوي الوردُ في عُمُر الشبابِ

- ٨ -

لبَدْءٍ أو ختامٍ لَستُ أسْرِي أنا سرٌّ أحاولُ كَشْفَ سرِّ
فإنْ بَدتِ الحقيقةُ دون ستر رجعتُ إلى « لعلَّ » و« ليت شعري »

- ٩ -

أقلبي ! كالفراش هوى ، إلامه ؟ ولا تمضي مضاء فتى ، إلامه ؟
بنارِكَ فاحترقْ يوماً وأقدمْ بنارِ الأجنبيِّ صلَى ، إلامه ؟[1]

- ١٠ -

أقمْ بدناً على كفِّ الغُبار[2] شديدَ الأسْر صُلْباً كالحجار
وقلباً فيه جيَّاشاً بهمّ كنهرٍ في حمى الأطواد جار

- ١١ -

أنجمَ الصُّبح تُسرع في فراقٍ لعلّك من رُقادي ضقتَ ذَرعا
ضللتُ بغفلتي سُبُلي ولكن أتيتَ وجُزْتنا يقظانَ تسعى

- ١٢ -

وكم ذا في الوجود من الحُبور ! أرى اللَّذاتِ في شَوق الظهورِ
ويَصدَع غُصنَه بُرعومُ زَهرٍ فيبسم للحياةِ منَ السُّرور

- ١٣ -

تقول فراشةٌ منْ قبل خلقٍ أنلني لمحةَ قلقِ الحياة
رمادي فاذرُه سَحَراً ولكن أذقْني ليلةً حُرَق الحياة

---

(١) هذه الرباعية مردوفة . فيها الروي قبل الكلمة المكررة .
(٢) يكثر التعبير في الفارسية عن الإنسان بكف غبار « مشت خاك » .

- ١٤ -

بني الإسلامِ ! سرٌّ في ضميري ... يُضيء كرُوحِ جبريلَ الرسولِ
أخادع آزريَّ الطبع عنه[1] ... فهذا السرُّ من سرِّ الخليل

- ١٥ -

أراكَ بسرٍّ أفلاكٍ تجولُ ... وتجهلُ سرَّ نفسك يا جهولُ
فوَجِّه - كالنواة - إليك عينا ... ليُنبت منْ قرارتك النخيلُ

- ١٦ -

تَغنَّى طائرٌ سحراً طويلا ... فأبدَعَ شدوَه نغماً وقيلا :
أبِنْ عمَّا بصدرك لا تدعْه ... غناءً أو أنيناً أو عَويلا

- ١٧ -

أتبغي عند مِثلي مِنْ شرابٍ ... يرُدُّك منْ وجودك كالبعيد
فلا تطلُبْ بسوقي مِنْ متاعٍ ... سوى صدرٍ تمزَّق كالورودِ[2]

- ١٨ -

تَسوءُكَ رَوضتي مَرأىً إذا لم ... يَسرُّكَ في طلابٍ بذلُ روحِ
أُبيِّن في عُروق الوَرد سِرّاً ... ربيعي ليس من لونٍ وريحِ

- ١٩ -

أنا في الروض مُنفردٌ غريبٌ ... على غصْني أنوحُ مع الرِّياح
فإنْ تكُ من رقاق القلب فابعُد ... فإنَّ دمي ليرشَحُ في نُواحي

- ٢٠ -

أهاب إسكندرُ بالخضر : أقبلْ ... وعان الكدَّ في بحر وبرِّ
وموتنْ في الوغى تزدَدْ حياةً ... إلامَ تحيد عن كرٍّ وفرِّ ؟

---

(١) آزري الطبع : الذي يشبه آزر والد إبراهيم ، وكان ينحت الأصنام ، وكان ولده الخليل يدعو إلى التوحيد .

(٢) جمعُ ورد . والورد في خياله يمزِّق صدره ليتجلَّى جماله .

- ٢١ -

لـــه نقـــشٌ يُجـــدَّد كـــلَّ حيـــنٍ فـــلا تَبقـــى الحيـــاةُ علـــى غِـــرار
فـإنْ صـوَّرت يـومـك مثـل أمـسٍ فمـا يَحـوي تـرابـك مِـنْ شـرار

- ٢٢ -

بهـــذا المَـــرجِ مـــا علَّقـــتُ قلبـــي مضيـــتُ ولـــم تعـــوِّقنـــي القيـــودُ
كـــريـــح الصُّبـــح طفـــتُ بـــه قليـــلاً مضيـــتُ ونضّـــرت منِّـــي الـــورودُ

- ٢٣ -

أجـــاش بقطـــرتـــي بحـــراً وردَّتْ حُميَّـــاه تـــرابـــي جـــام جـــمٍ[1]
أقـــام العقـــلُ أصنـــامـــاً بـــرأســـي خليـــلُ العِشْـــق بـــادَرهـــا بهـــدمِ

- ٢٤ -

أتيـــتَ الطُّـــور تلْتمـــسُ التجلِّـــي فـروحُـك منـك ليسـت فـي وصـال
فـــأَقْـــدِمْ فـــي طـــلابـــك آدميَّـــاً كـــذاك اللهُ فـــي طلَـــب الـــرِّجـــال

- ٢٥ -

لخـوفِ المـوت قلبُـك فـي ارتعـادِ ولـونُـك حـالَ مـنْ خـوفِ الشَّتـاتِ
فنفسَـــك أُحْكُمَـــنْ وازدد نضـــوجـــاً فـــإنْ تفعـــل تعـــشْ بعـــد الممـــاتِ

- ٢٦ -

دَع الـــــرازيَّ فـــــي تفسيـــــر آي فـــإنَّ ضميـــرنـــا نعـــم الـــدليـــلُ
يضـــرَّم عقلُنـــا والقلـــبُ يصلـــى بـــذا نمـــرودُ فسَّـــر والخليـــلُ

- ٢٧ -

فـــأبلـــغْ شـــاعـــر الألـــوانِ عنِّـــي : لهيبُـــك كـــالشَّقـــائـــق لا يَضيـــرُ
فنفسَـــك لا تُـــذيـــب بنـــارِ قلـــبٍ ولا ليـــــلاً لمحـــــزونٍ تنيـــــرُ
جميلُـــــك أو قبيحُـــــك لا أراه جَعلـــتَ عيـــاره ربحـــاً وخُسَـــرا
بهـذا الحفْـلِ مـن مثلـي وحيـداً ؟ أرى الـــدُّنيـــا بعيـــنٍ فـــيَّ أخـــرى

---

(١) كأس جمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية كان يرى فيها العالم .

- ٢٨ -

دع الشُّطآن لا تركنْ إليها ... ضعيفٌ عندها جَرسُ الحياةِ
عليك البحرَ صارع فيه موجاً ... حياةُ الخلدِ في نَصَبٍ تُواتي

- ٢٩ -

أتكثرُ لي حديثاً عن حياةٍ ... ولسْتُ أراكَ فيها بالحقيقِ ؟
سَكِرْتُ بلذَّة التَّسيار حتَّى ... جعلتُ منازلي مِيْلَ الطَّريقِ[1]

- ٣٠ -

مَرَرْتُ بزهرةٍ ذبلتْ فقالتْ ... وجُودي مثلُ ما طارَ الشرارُ
يذوبُ لِمحْنَةِ النقاشِ قلبِي ... فليسَ لنقشِ ليقته قرار

- ٣١ -

أرى الدُّنيا على سعةٍ كحوتٍ ... من الأيام في بحرٍ عميقِ
فقلبَك أبصرنْ واعجب لبحرٍ ... منَ الأيام في كاسٍ غريق

- ٣٢ -

أنا في المرح حِدّيثُ الطيورِ ... ومقوَلُ كلِّ بُرعومٍ صَغير
فأسْلَمَ للصَّبا تُربي بموتي ... فما لي غيرُ طوفٍ بالزُّهور

- ٣٣ -

أوادي الورد يُبدي كلَّ شيءٍ ... فما سرُّ الشَّقائق في لهيبِ ؟
بأعيننا الرُّبى أمواجُ لونٍ ... فكيف تُرى بعينِ العندليبِ

- ٣٤ -

دماغي يَعشق الأصنام كفراً ... يربُّها ويعبد كلَّ حين
فأبصر في فؤادي نارَ عشقٍ ... بعيدٌ أنت مِن سنَني ودِيني

---

(١) يعني : أن كلَّ منزل يبلغه يعدُّه علامة على الطريق لا غاية . والميل الحجر يبين المسافة .

- ٣٥ -

عـوالـمُ مِـنْ نجـومٍ لا تُحَـدُّ يطيـر الفكـر فيهـا لا يُـردُّ
ولكـن فـي خفـايـا القلـب يُلفـى لمـا يحتـويـه الحـدُّ ، حـدُّ

- ٣٦ -

بسلسلـةِ القضـاء ربطـتَ رجـلاً وفـي سعـةِ العـوالـم ضقْـتَ حـالا
فقُـم إن كنـتَ فـي ريـبٍ وحـاول تجـدْ للـرَّجـل فـي الـدنيـا مجـالا

- ٣٧ -

بضـربـك قـد علـتْ أنغـامُ رُوحـي أفـي روحـي وخـارجَهـا تكـون ؟
بـرقـك خـامـدٌ وبـك اشتعـالـي بـلا كيـفٍ فكيـف تُـرى بـدونـي

- ٣٨ -

أرى الأنفاس من جدواه موجاً ومن أنفاسه نابي ونغمي
على النهر المؤيـد قد نبتنا وقطر نداه أعصابي وجسمي

—

أيـا طفل السجايا أسمع عتابي أإسلام وفخر بإنتساب ؟
فأن تعتز بالإنـساب عرب فأن جزاءها هجر الصحاب

—

أ أفغـان وتاتار وتـرك وفي مرج ومن غصن نـمونا
حرام بيننا تفريق لون ربيـع واحد فيه زهونـا

—

ثوت في صدورنا هم كبار بطينتنا فؤاد فيه نـار
من الخمر التي فينا أضاءت مقيم في زجاجتنا شرار

أيـا قلبـي ! أيـا قلبـي ! أيـا قلبـي ! أيـا فُلْكـي ! ويـا بـرِّي وبحـري !
قَطَـرْتَ علـى تُـرابـي كـالنَّـدى أمْ نبـتَّ بتُـربتـي بُـرعـوم زهـرِ ؟

- ٣٩ -

أتسأل من أنا من أين جيت ... حبيتُ بما على نفسي طُويتُ
بهذا البحر مثلَ الموج أسري ... إذا لم أطو في نفسي فنيتُ

- ٤٠ -

عليك السَّيْرَ لا ترغب مَقيلا ... وسرْ كالشَّمس لا تَرقُبْ دليلا
وهَبْ للآخرينَ متاعَ عقلٍ ... ونارَ العِشْق فاحْفَظْها بَديلا

- ٤١ -

ألا يا عشقُ ! يا رمزَ الفؤاد ! ... ويا زرعي النضير ! ويا حصادي !
تقادمَ أهلُ هذا التُّرب فاخرجْ ... بآدم مُحدَثٍ من ذا الرَّماد

- ٤٢ -

يرى قلبُ الشُّجاع الليث وهماً ... وفي قلب الجبان الظَّبي بَبْرُ
فإن تجبُنْ رأيت الموجَ وحشاً ... وإنْ تشجُعْ فإنَّ البَحْرَ برُّ

أخمراً خلْتني أمْ كأسَ خمرٍ ... ودُرّاً خلتني أم كيس درّ
أراني غير روحي وهي غيري ... متى أنظر إلى مكنون سرِّي

- ٤٤ -

تقول : بطيرنا عَلِقتْ قيودُ ... وفي شَركِ الجسوم لها همودُ
ومعنى الرُّوح بالأجسام يعلو ... مِسنُّ سيوفنا هذي الغُمودُ

- ٤٥ -

فكيف بقلبنا وُلِدَ الرَّجاءُ ... وكيف سراجُ منزلنا يُضاء
ومن في العين يبصر ؟ ما يراه ؟ ... وكيفَ حوَىٰ النُّهى طينٌ وماءُ

- ٤٦ -

لنا كون لأزميلٍ ونحتٍ ... يقلِّبه صباحُك والمساءُ
مثالٌ من تُراب لم يكمَّل ... يسوِّيه بمبرده القضاءُ

- ٤٧ -

طريقُك فانحتنه في كفاحٍ ... طريقُ سواك مسلكُه عذابُ
فإنْ أبدعت في عملٍ فريّ ... وإنْ يك مأثماً فلك الثوابُ

- ٤٨ -

دليلُ القلب لا يرضى نزولاً ولا يُرضيه ماؤك والتُّرابُ
فلا تحسبه في جسدٍ مقيماً فلا يرضى بشطِّ ذا العُباب

- ٤٩ -

تَخذْتُ لخلوتي طيني ومائي وبُوعدَ بين أفلاطٍ وبيني
فلم أستجد يوماً عين غيري ولم أر عالمي إلَّا بعيني

- ٥٠ -

ترى رمز الحياة بكل كمٍّ مجازٌ فيه يا قلبي الحقيقه
بتُربٍ مظلم ينمو ولكن له عينٌ إلى شمس الخليقه

- ٥١ -

يُضيء على المروج وكلِّ سَهْبٍ وَكاسُ الورد فيه نورُ حُبّ
وما تَغْشَى الورى ظلماتُ ليلٍ فحرقته السِّراج لكلِّ قلب

- ٥٢ -

وبالعدَمِ استزابت ثمَّ راغت فحلَّت قلبَ آدم للثَّواء

- ٥٣ -

بقلبي سرُّ جُثمانٍ وروحٍ فلا فزع إذا أجلي أتاني
فإمَّا غاب عن عينيَّ كونٌ فباقٍ ألفُ كونٍ في جناني

- ٥٤ -

مزاجَ الزَّهر أعرف في يقينٍ وريحُ الورد في خَلَد الغصونِ
وحبَّبني إلى الأطيار أنِّي عَرَفْتُ لها مقاماتِ اللُّحونِ

- ٥٥ -

نظامُ الكون منْ شعر الرَّجاء له الأوتار مِنْ وتَر الرَّجاء
بعيني كلُّ ما يمضي ويأتي هو اللَّمحاتُ مِنْ دهر الرَّجاء

- ٥٦ -

يهيمُ القلبُ في أثر الرَّجاءِ وصدري من ضجيجٍ في عناءِ
فلا تطمعْ جليسي ! في حديثي فإني مِنْ فُؤادي في نداءِ

- ٥٧ -

أرى الحكماءَ تحطمُ كلَّ شكلٍ ومِنْ هذا الوجودِ بسومنات[1]

(١) معبد أصنام معروف في الهند .

يـريـدون المـلائـك فـي طـلابٍ وما ظفـروا بـآدم فـي الحيـاة

- ٥٨ -

جلسـتُ مـع الطبيعـة ألـف عـامٍ وُصِلْتُ بها وعـن نفسي فُصِمْتُ
قُصـارى سيـرتـي فـي ذاك أن قـد نحتُّ ، وقد عبدتُ ، وقد حطَمْتُ

- ٥٩ -

بنفسي جلـوةُ الأفكـارِ ، مـا هـذا ؟ وحولي محشر الأسرارِ ، ما هذا ؟
أبِـن لـي يـا حكيـمُ : يقيـم جسمي وروحي دائـم التَّسيـار . مـا هـذا ؟

- ٦٠ -

بكيفـك إنْ تُحِـطْ خُبـراً وكمِّـك يفـضْ مِـنْ قطرةٍ لـك فيض يَمِّك
فيـا قلبـي لـم استجـداءُ شمسٍ ؟ مـن الأنفـاس نـوِّرْ ليـلَ غمِّـك

- ٦١ -

أفـق مـا القلـبُ بـالأنفـاس يَحيـا ولا هُـو رهـنُ مـا يبقـى ويفنـى
أخـا الأوهـامِ لا تـرهَـبْ حِمـاماً فـإنْ نَفسٌ مضـى فـالقلـبُ يبقَـى

- ٦٢ -

إلـى أهـل التَّصـوُّف والصفـاء رجـالُ اللهِ أربـاب الضيـاء :
أنـا عبـدُ الهمَّـة عبـد نفـس بنـورِ النَّفـس للخـلاَّق راء

- ٦٣ -

بعُـدَّة حـاننـا الغبـرا غُبـار ودورةُ كـأسِنـا الفُلـكُ المُـدار
حـديـثُ جهـادنـا مُضـنٍ طـويـل ودُنيـانـا لقصَّتنـا اختصـار

- ٦٤ -

ومـا علَّقـتُ بـالأنغـام قلبـي وفـي نغَـم الحيـاة أنـا الخبيـرُ
وقـد غنَّيـتُ فـي الأغصـان حتَّـى تَصيحَ الطَّيرُ : من ذا ؟ يا زهورُ !

- ٦٥ -

أثـرتُ بنغمتـي كـلَّ النـوادي ومـن شـرَرِ الحيـاةِ جَعلـتُ زادِي
أضـاء القلـبُ مـن عقلـي ولكـنْ جعلـتُ عيـار عقلـي فـي فـؤادي

- ٦٦ -

رددتُ العُجـم فتيـانـاً بـزمْـري وراجَ متـاعُهُـمْ مـنْ بعـد خُسـرِ

وكـــانـــوا هـــائميـــن بكـــلِّ وادِ وقـــافلـــةً نَظَمْتُهُـــم بشعـــري

ـ ٦٧ ـ

بـــروحِ العُجْـــمِ مِـــنْ نَغَمـــي شـــرار قـــرعـــتُ لهـــم بـــأجـــراسـي فســارُوا
وعـــاليـــتُ الحـــداء لهـــم كعُـــرْفـي[1] تبـــاطـــأ محمـــلٌ ونـــأتْ ديـــارُ

ـ ٦٨ ـ

نفثـــتُ النَّـــار مِـــنْ روحـــي نفثـــتُ وصـــدرَ الشَّـــرق قلبـــاً قـــد وَهَبْـــتُ
وصيَّـــر طينَـــه لهبـــاً نُـــواحـــي كبـــرقٍ فـــي سجـــايـــاه نَفَـــذْتُ

ـ ٦٩ ـ

بـــأغصـــانِ الـــرَّجـــاء جنيـــتُ أكـــلاً وأفضـــى الـــدَّهـــر بـــالسـرِّ المنيـع
أرامـــيّ اخـــشَ للبستـــان ربَّـــاً فـــإنَّ معـــي رِســـالاتِ الـــرَّبيـــع

ـ ٧٠ ـ

بحـــار العُجـــم ليـــس لهـــا قـــرارُ وفـــي أحشـــائهـــا دُررٌ كبـــارُ
ولكـــنْ لا أحـــبُّ ركـــوبَ بحـــرٍ إذا لـــم يُخـــشَ فـــي مـــوجٍ خطـــارُ

ـ ٧١ ـ

علـــى دُنيـــاك تقضـــي بـــالهـــوانِ وستـــرٌ للمغيَّـــب كـــلُّ آن
فـــأحْكـــم يـــومَـــك المشهـــودَ واعلـــمْ بـــأنَّ غـــداً ضميـــرٌ فـــي الـــزمـــانِ

ـ ٧٢ ـ

كَـــرِهْـــتَ سيـــادةَ الإفـــرنـــجِ لكـــنْ سجُـــودُكُ للقبـــابِ وللقبـــورِ
ألفـــت عبـــادةَ السَّـــادات حتَّـــى لتنحـــتُ ســـادةً لـــك مـــن صخـــورِ

ـ ٧٣ ـ

إلام تعيـــش فـــي رثِّ الإهـــاب ؟ إلام تعيـــش نمـــلاً فـــي تـــرابِ ؟
فَطِـــرْ كـــالصَّقـــر معتـــزمـــاً وحلِّـــقْ إلامَ أسيـــرُ حـــبَّ فـــي اليَبَـــابِ ؟

---

(١) إشارة إلى بيت عرفي الشيرازي :

نـوارا تلـخ تـرمـي زن جـوذوق نغمـه كمـا يـابـى

حدى راتيز ترمى خوان چون محمل راكران بينى

ـ ٧٤ ـ

اتخذ في الوردِ والأزهار عشاً ومِنْ طيرِ دروساً في انتحاب
وإنْ ينقصْ قُواك الشيبُ فاؤخُذْ من الدُّنيا نصيباً من شباب

ـ ٧٥ ـ

أهابَ بمسمعيَّ تُراب قبرٍ : وتحت الأرض يُمكن أن يُعاشا
له نَفَسٌ وليس لديه روحْ ذليلٌ في مُرادِ سواه عاشا

ـ ٧٦ ـ

سماطي ليسَ فيه ما يروقُ ولا في الكأس لألأتُ الرَّحيق
غزالي يغتذي عُشب المَوامي ولكن صدرُه مسكٌ فتِيق

ـ ٧٧ ـ

قُلوبُ المسلمين قبسن ناري ودمعي من عيونهمُ هَتونُ
برُوحي مَحْشر قد غابَ عنهم فلم تر ما رأيتُ لهم عيونُ

ـ ٧٨ ـ

أرى للعشقِ تصريفاً عجيباً يقلِّب كيف ما يهوى القلوبا
رماك بأدْمعٍ وسباكَ نفساً وصيَّرني إلى نفسي قريبا

ـ ٧٩ ـ

رأيتك لا تزالُ أسير طينٍ إلى تُركٍ وأفغانٍ تُردُّ
أنا بشرٌ بلا لونٍ وريحٍ وللتوران أو للهند بعدُ

ـ ٨٠ ـ

أثار الشِّعْرُ في جنبيَّ نارا ورَدَّ التُّربَ في طُرقي شَرارا
حديثَ الحبِّ حاوَلَهُ لساني فزاد السرَّ تبياني سِرارا

ـ ٨١ ـ

تولَّى بعدُ عن عقلِ الفنون وأدمىٰ قلبه عِشْقُ الشُّجونِ
فلا تستفتِ إقبالاً لشيءٍ فإنَّ حكيمنا رَهْنُ الجنونِ

***

عشق کی تقویم میں عصرِ رواں کے سوا
اور زمانے بھی ہیں جن کا نہیں کوئی نام!

القسم الثاني

أفكـــار

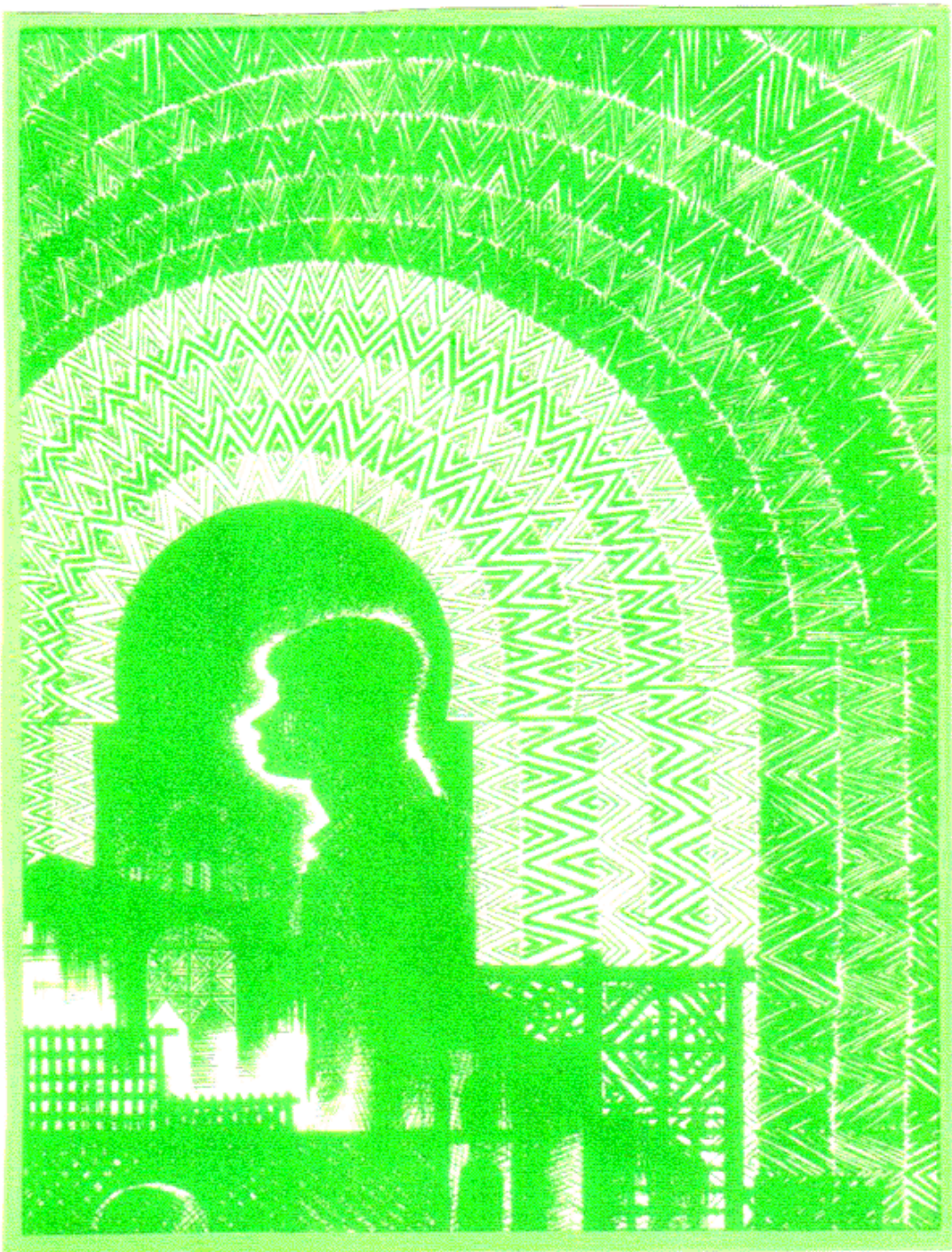

تو ہے محیطِ بیکراں، میں ہوں ذرا سی آبجو
یا مجھے ہم کنار کر یا مجھے بیکنار کر!

الوردةُ الأولى

لا أرى في المُروجِ لي من قريع ... أنـا أُولـى زهـورِ هـذا الـرَّبيـع
أبتغـي فـي الغـديـر صـورة نفْسـي ... لأرى وجـهَ مـؤنـسٍ لـي سميـع
فـي سُطـوري رسـالـةٌ بيـراع ... خـطَّ سطـر الحيـاة فـي تـرصيـع
أمـس قلبي ، وعبـرةُ اليـوم عيني ، ... وغـدي مُنْيتـي وكـلُّ بـديـع
وأنـا النَّجـمُ خلَّفتـه الثُّـريّـا ... نَسَـجَ التُّـربُ ثـوبَ وردٍ عليَّـا

* * *

دعاء

أيـا مـالئاً كـاسـي بحـانـةِ فِطـرتـي ... أذبْ طينَ كأسي من حرارة خمرتي
وصيِّـرْ أنيني ثـروة العشـق واجْعَلَنْ ... تـرابـاً بسينـائـي تسعِّـر شُعلـة
إذا مـتُّ فـاجعلني سِرَاجَ شقيقـةٍ[1] ... وبـالبيـدِ أحـرقني وزدْ نـار وسْمتي

* * *

رائحةُ الورد

وحوراءَ في الخُلد ضاقتْ فقالتْ : ... « جَهلنـا بمـا تحتنـا مِـنْ جهـاتِ
يحيِّـرُ عقلـي نهـارٌ وليـلٌ ... ومـا قيـل عـن مَـوْلـدٍ أو ممـات
غَـدَتْ ريـحَ وردٍ وذرَّتْ بغُصْـنٍ ... فحلَّـت بعـالـمِ مـاضٍ وآت

---

(١) يعني : زهرةً من الشقائق .

وتَفتَّـــح عينـــاً وتَبَسَّـــم كمّـــاً ... وبعـــد نمـــاءٍ هَـــوَتْ فـــي شتـــات
لهـــذي الطليقـــة لـــم تبـــق ذكـــرى ... ســـوى آهـــةٍ سمَّـــت بـــالشَّـــذاةِ[1]

* * *

نشيد الوقت

قـــد أحـــاطَ الشَّمـــسَ حِجـــري ... وحـــوى الأنجـــم صَـــدْري
أنـــا لا شـــيء ولكـــنْ ... فيكُـــمُ روحـــيَ تســـري
أنـــا فـــي دُورٍ وقفـــرِ ... أنـــا فـــي كـــوخٍ وقصـــرِ
أنـــا داءٌ ودواءٌ ... وأنـــا عيْشـــةٌ يُسْـــر
أنـــا سيـــفُ الـــدَّوران[2] ... أنـــا عَيـــن الحيـــوَان[3]
إنَّ جنكيـــزَ وتيمـــو ... رَ قليـــلٌ مـــن غُبـــاري
ثـــورةُ الإفـــرنـــج فيهـــا ... نَفَثَـــاتٌ مـــنْ شـــراري
إنَّمـــا الإنســـان والـــدُّنيـــا ... نُقـــوشـــي وابتكـــاري
ودمـــاءٌ مِـــنْ قلـــوبٍ ... فـــي ربيعـــي كـــالبُهـــار
أنـــا لَفْـــحُ النِّيـــرانِ ... أنـــا رَوْض الـــرِّضـــوان
أنـــا سيَّـــارٌ مقيـــمٌ ... إنَّ هـــذا الأمـــرَ إمـــرُ
إنَّ فـــي خمـــرةِ يـــومـــي ... مـــنْ غـــدٍ يظهـــر سِـــرُّ
ألـــفُ كـــونٍ ، فـــانظُـــرَنْهـــا ... فـــي ضميـــري تستســـرُّ
ونجـــومٌ فـــي حبـــاك ... وقبـــابٌ فـــيّ خُضـــرُ
أنـــا ثـــوبُ الإنســـان ... أنـــا ســـرُّ الـــرحمـــن

---

(١) الشذاة : الرائحة .

(٢) دوران الفلك .

(٣) ينبوع الحياة ، وعين الحياة في الأساطير شرب منها الخضر ، فلم يمت .

سِـــرِّي التَّقـــديـــرُ والتـــد بيـــر مـــنْ سحـــرِ فنـــونِـــكَ
أنـــت مجنـــونٌ بليلـــى أنـــا صحـــراءُ جنـــونـــك
أنـــا كـــالـــرُّوح بَـــرِّي مـــن خيـــالات ظنـــونـــك
أنـــت فـــي جـــوفـــي ســـرُّ وأنـــا ســـرُّ شُـــؤونـــك
أنـــا حـــاد أنـــت نُـــزْلُ أنـــا حَقْـــلٌ أنـــت حـــاصـــل
أنـــت فيَّـــاضٌ بلحـــنِ أنـــت نـــار فـــي المحـــافـــل
يـــا أسيـــر الطِّيـــن فكِّـــر أنـــت عـــنْ قلبـــكَ غـــافـــل
انظـــرنْـــه مـــلءَ كـــأسٍ وهـــو بحـــرٌ دون ســـاحـــل
إنَّ مـــوجـــاً فيـــك يعلـــو منـــه يبـــدو طـــوفـــانـــي

***

الرَّبيع

- ١ -

هلـــمَّ فـــإنَّ سحـــاب الـــربيـــع يخيِّـــم فـــوق الـــرُّبـــى والـــوهـــاد
وشَـــدْو العَنـــادلِ فـــي كـــلِّ وادِ
ودُرَّاجُـــه والقطـــاء فـــي تهـــادي
على حـافـة النَّهـر جـذْلـى شـوادي
شقيـــقٌ وورْدٌ ضحـــوكٌ يُنـــادي
فطـــرفـــك ســـرِّح بهـــذا المُـــراد
هلـــمَّ فـــإنَّ سحـــاب الـــربيـــع يخيِّـــمُ فـــوق الـــرُّبـــى والـــوِهـــاد

- ٢ -

هلـــمَّ فمـــلءُ الـــرُّبـــى والسُّهـــولِ قـــوافـــلُ أزهـــاره والـــوُرودِ
نسيـــمُ الـــرَّبيـــع علـــى كـــلِّ عـــودِ
وللطَّيـــر إبـــداعُهـــا فـــي النشيـــدِ

ومزَّقتِ الجَيْبَ حُمْرُ الخدود[1]
جنى الحُسنُ ناشىء زهرٍ نَضيدِ
وللعِشْق إبداعُ غمٍّ جديدِ
هلمَّ فملء الرُّبى والسهولِ قَوافلُ أزهارِه والورودِ

- ٣ -

صفيرُ البلابلِ ملءُ الجِواء وصوتُ الصَّلاصلِ ملءُ النَّسيم[2]
دمُ المرج في جوفه كالحَميمْ
فيا قاعداً صامتاً لا يريمْ !
دعِ الصمت واتركْ وَقار الحليمْ
وخَمْرَ المعاني اشربَنْ يا سقيمْ !
تدثَّر بوردٍ وغنِّ النديمْ
صفيرُ البلابلِ ملءُ الجِواء وصوتُ الصَّلاصل ملءُ النَّسيم

- ٤ -

دعِ الدُّورَ واطلبْ فسيح البراري وانظر إلى صفحاتِ الجمال
على حافة الماء دونَ ملالِ
تأمَّلْ تَرَقْرُقَ ماءِ زُلالِ
وحدِّقْ إلى نَرجسٍ ذي دَلالِ
بُنَيَّاتُ نيسان ذاتُ اختيالِ
وقَبِّل عيوناً لها كاللآلي
دعِ الدورَ واطلبْ فسيح البراري وانظر إلى صفحات الجمال

- ٥ -

وعَيْنَ البصيرة فانظر بها أيا غافلاً عن عيان الخَلْقِ !

---

(١) شقائق النعمان .

(٢) الصلصل : الفاختة ، أو طائر يشبهها ، والكلمة نفسها في شعر إقبال .

شقيـــقٌ بـــدا حَلَقـــاً فـــي حلَـــقْ
بـــأعطـــافـــه لهـــبٌ قـــد عَلِـــق
علـــى كبـــدٍ فيـــه ذات حـــرق
يلـــوح نـــدىً مـــن دمـــوعِ الفَلَـــق
فحـــدِّق إلـــى أنجـــم فـــي شفـــق[1]
وعيـــنَ البصيـــرة فـــانظـــرْ بهـــا أيـــا غـــافـــلاً عـــن عيـــان الخَلْـــقِ

- ٦ -

ثـــرى المـــرجِ صـــرَّح فـــي هَيْجـــه بمـــا أضمـــرتْ مُهَـــجُ الكـــائنـــاتِ
فَنـــاءُ الصفـــات وكـــونُ الصفـــاتِ
ومـــا أبـــدتِ الـــذَّات مـــنْ جَلـــواتِ
ومـــا خِلْتَـــهُ مـــن معـــانـــي الحيـــاةِ
ومـــا خِلْتَـــه مـــن معـــانـــي الممـــاتِ
فليـــس لـــه هـــاهنـــا مـــنْ ثبـــاتِ
ثـــرى المـــرجِ صـــرَّح فـــي هَيْجِـــه بمـــا أضمـــرتْ مهـــجُ الكـــائنـــاتِ

***

الحياةُ الخالدة

لا تظـــنَّ الخمَّـــارَ وافـــى ختـــامـــاً كَمْ مِنَ الرَّاح في عُروقِ الكروم !
يجمُـــل المـــرحُ لا بثـــوبِ حيـــاةٍ مـــزَّقْتـــه النَّسيـــمُ كـــالبُـــرعـــوم
مـــنْ يُحـــطْ بـــالحيـــاة لـــم يـــرض قلبـــاً لـــم تَخِـــزْه المنـــى بشـــوكٍ أليـــمِ
مُحكمـــاً كـــالجبـــال عـــشْ ، لا ضعيفـــاً واهـــنَ النَّـــار طـــائشـــاً كـــالهشيـــم

***

---

(١) يشبه النَّدى على الشقيق بالأنجم في الشفق .

أفكار النجوم

سَمِعْتُ بكوكبٍ لأخيه يشكو : لنا بحرٌ وليس يَلوحُ ساحلُ
خُلقنا للمسير بلا وقوفٍ فليس لركبنا أبداً مَنازلُ

* * *

فإنْ تمض النجوم كما نراها فما جدوى العناء ؟ وما نُفيدُ ؟
بأشراك الزَّمان لنا إسارٌ سعيدٌ مَنْ يُجانبه الوُجود

* * *

لَهذا العبءُ محمله شديدُ فليتَ وجودَنا عدمٌ أبيدُ
كرهتُ القبَّة الزرقاء أوجاً حضيضُ التُّربِ خيرٌ لو نريدُ[1]

* * *

فطوبى لأبي آدم في طعانٍ قد استولى على طرْف الزَّمان
خليقٌ بالحياة له قوامٌ يُجدَّد أو يُخلَّق كلَّ آن

* * *

الحياة

بكى في الظَّلام سحابُ الرَّبيع فقال : الحياة بكاءٌ مديدْ
فقال له البرُّ في ومضه : هل الضِّحْكُ في لمحة ؟ لا تزيدْ
فمن أبلغَ الروضَ هذا الحديث فصَار حوارَ النَّدى والورودْ ؟

* * *

---

(١) لو كان لنا إرادة واختيار .

محاورة العلم والعِشْق

العلم :

أنا سرُّ الكواكب والجهات ... وفي قيدي ثوى ماضٍ وآت
وعيني حدَّقت فيما أمامي ... وما نظري وراء السَّابحات ؟
وكم نغَّمتُ في عُودي وبوقي ... وأسراري عرَّضْتُ بكلِّ سوق

العشق :

بسحركَ سُجِّرت هذي البحارُ ... ومِلءُ الجوِّ سَمُّك والشرار
وكنتَ لي الصديق فكنت نوراً ... ونورِكَ مذ هَجَرتَ حماي نارُ
وُلدتُ الأمس في حرم الرحيم ... وصِرْتُ اليوم في قيد الرجيم
هلمَّ فَرُدَّ روضاً ذا اليبابا ... ورُدَّ مَشْيْبَ دُنيانَا شَبابا
هلُمَّ بذرّةٍ مِنْ نار قلبي ... أقم في الأرض فردوساً عُجابا
كلانا الدَّهرَ خلٌّ لا يجورُ ... للحنِ واحدٍ بمّ و زيرْ

* * *

غناءُ النجوم

وجودُنا نظامُنا ... وسُكْرنا انسجامُنا
في دَوْرنا دوامُنا ... لا يُرتجى مقامُنا
في فلكِ مرامنا ... ننظر سائراتِ
وجلوةَ الشهودِ ... ومظهرَ البدود[1]

---

(١) جمع بد ، وهو الصنم ، معرب بت .

ومعـــرَك الـــوجـــودِ والعـــدْمِ والمـــوجـــودِ
والغَيـــب والمشهـــودِ ننظـــر ســـائـــراتِ
وحَلبـــةَ الطِّعـــانِ ونشـــأةَ الشُّجعـــانِ
وغِيـــرَ التيجـــانِ وذِلَّـــةَ السُّلطـــانِ
ولعـــبَ الـــزَّمـــانِ ننظـــر ســـائـــراتِ
مضـــى زمـــان المـــولـــى والعبـــدُ قـــد تـــولَّـــى
سِكنـــدرُ قـــد ولَّـــى وقيصـــرُ قـــد ذلَّا
والـــوثـــنُ اضْمَحـــلاَّ ننظـــر ســـائـــراتِ
والصمـــتَ والصيـــاحـــا والـــذُّلَّ والكفـــاحـــا
والخنْـــعَ والطمـــاحـــا وتـــارةً أفـــراحـــا
وتـــارة أتـــراحـــا ننظـــر ســـائـــرات
عقلُـك فـي عَقـدٍ وَحـلّ مِنْ كمْ وكيف في شُغُل
مثـل غـزال قـد عُقِـل مضطـربٌ ومضمحـلّ
ونحـنُ فـي العليـا نحـلّ ننظـــر ســـائـــراتِ

* * *

مـا السـرُّ مـا الظهـور ؟ ومـا الـدُّجـى مـا النُّـورُ ؟
مـا القلـبُ مـا الشعـورُ ؟ مـــا فطـــرةٌ ضجـــورُ ؟
مـا الغيـبُ والحضـورُ ؟ ننظـــر ســـائـــراتِ
كُفـــركَ عنـــدنـــا أمـــمُ حـــولـــك عنـــدنـــا لمـــمُ
يـــا مـــن بصـــدرِه خضـــمُ قنعـــتَ بـــالظِّـــل انسجـــمْ
نحـــنُ بعـــالـــمٍ نهـــمٌّ ننظـــرُ ســـائـــراتِ

* * *

نسيمُ الصُّبح

أجـــيء مـــن لـــجِّ بَحـــرِ ... ومـــن قـــلال الجبـــالِ
مُسيَّـــراً لســـت أدري ... مـــن أيـــن شُـــدَّت رحـــالي
أُزجـــي لِطـــائـــر غـــمٍّ ... بشـــرى ربيـــعِ الجمـــالِ
ونـــاثـــراً تحـــت عُـــشٍّ ... نِثَـــارَ زَهـــرٍ غَـــوالِ
بخُضـــرة أتـــرَدَّى ... وبـــالشقيـــق اتصـــالي
حتَّـــى يهـــجَّ فيـــه ... لـــوناً وريحـــاً وصـــالي
يمـــسُّ أوراق وردٍ ... تلطُّفـــي واحتيـــالي
فـــلا تميـــلُ غصـــونٌ ... مـــن طـــوفـــيَ المتـــوالي
وشـــاعـــرٍ هيَّجَتْـــهُ ... همـــومُ عِشْـــقٍ لقـــالِ
مـــزجـــتْ أنفـــاس صـــدري ... بلحنـــه والمقـــالِ

***

نصيحة صقر لفرخه

تعلَّـــم بنـــيَّ بـــأنَّ الصُّقـــورْ ... لهـا قلـبُ ليـثٍ وجسـمٌ صغيـر
فكـنْ مُحْكَـم الـرأي شهمـاً جسـورا ... علـيَّ السجـايـا أبيـاً غيـورا
بُغـاث الطيـور اهجـرنهـا بعيـدا ... ودعهـا إذا لـم تُـردْ أن تصيـدا
فتلـكَ الـرعـاديـدُ نسـلُ اللئـام ... تـدسُّ منـاقيـرهـا فـي الـرَّغـامْ
أرى البـازَ صيـداً لمـا اصطـاده ... إذا قلَّـد الصيـد مـا اعتـاده[1]
فكـم بـاشـقٍ قـد أتـاه النَّـوى ... بصحبـةِ لقَّـاطِ حـبٍّ هـوى

---

(١) يعني : إنْ قلَّد الصقرُ الطيور الضعيفة التي يصطادها في عاداتها كان هو صيداً لها مغلوباً على أمره .

فنفسكَ فاحفظْ وعِشْ في جذل ... جريئاً متيناً قويَّ العضل
ودَعْ للدَّراريج ليـنَ الجسد[1] ... وكن مخلباً كالمُدى أو أحدّ
متاعُ الحياة ، تعلَّم ، جهادُ ... وصبرٌ على محنةٍ واجتهادُ
نقول لفرخِ عقابٍ عتيق : ... « بريق الدِّماء يفوق العقيق »
ولا تبغ سِرْباً كَسِرْب الغنم ... توحَّدْ كقومك منذ القدم
سمعتُ وصاة الصّقور العتاق ... بألا نقيم بظلٍّ وساق
فليس لنا في رياضٍ مجال ... فسيحُ الفيافي لنا والجبال
ولقطك حبّاً بأرض خطاء ... حبانا الإله عنانَ السَّماء
فأمَّا خطىً في التُّراب النجيب[2] ... فأشرف منه حمام ريب
فإنَّ بساطَ البزاة الحجر ... يحدُّ مخالبهنَّ الصَّخر
نماك الأوابدُ زرق العيون ... كأنك عنقاء جوٍّ متين
أصيلٌ أبيٌّ بيوم الخطر ... كفيلٌ بإنسان عين النَّمر
جناحُك منْ سَطَوات البروق ... من الشُّهب فيك كريمُ العروق[3]
فَطِرْ في السموات لا تخشَ خطبا ... وكلْ ما أصبتَ يبساً ورطبا
ولا تقبلنَّ طُعمةً من أحد ... وكنْ راشداً واستمعْ للرَّشد

سوس الكتب

(الأرضة)

سمعتُ : بمكتبي ليلةً ... يُنادي الفراشة سُوسُ الكتاب
يقول مررتُ بكتْب ابن سينا ... ونقَّبْتُ في كتُبِ الفَارابي
ولم أدر حكمة هذي الحياة ... وما زلت من ظُلمتي في حجابِ
تُجيبُ الفراشةُ في حُرقةٍ : ... أرى نكتةً لا تُرى في كتابِ
رأيتُ الكفاحَ يُعدُّ الحياه ... رأيت الكفاحَ يُمدُّ الحياه

(١) دراريج : جمع دراج وهو طائر معروف .
(٢) يعني : الصقر ونحوه ، وكلمة النجيب في الأصل . (٣) الشهب : أي البيض ، وفيها تورية بشهب السماء .

الشَّقيقة[1]

نـــارٌ بِصَـــدْرِ عِشْـــقٍ فـــي أزلِ أنيـــرُ
شمســـاً أُرى وفـــي كـــلّ ذرَّة أثـــور
شـــرارَهـــا مـــن نـــاري السمـــاءُ تستعيـــر
حللـــتُ صَـــدْرَ مَـــرجٍ كنفـــسِ أدورُ
وكـــالنَّـــدى مـــن تُـــربـــيَ غُصـــنٌ بـــدا نضيـــرُ
قـــال : قفـــي قليـــلاً ولهبـــي يغـــورُ
ومـــا ثـــواء قلـــبٍ مـــن ألَـــمٍ يسيـــرُ ؟
ثـــوى بضيـــق غُصـــنٍ فـــي قلـــقٍ يفـــور
حتَّـــى كُسيـــتُ لـــوناً وعبـــقَ العبيـــر

رش الندى طريقي بلؤلؤ ينير والصبح لي ضحوك وبي الصبا تدور
حكى لعندليب ورد له نضير أني سلبت ناري وخمد السعير
فقال في نواح : كم أغلى الظهور أجمل من شمس تشع في ضلوعي
فهل – وليت شعري – للنار من رجوع

الحكمة و الشعر

إبن سينا في غبار حائر ويد الرومي في ستر الحبيب
غاص هذا يجتبي درا وذا كغثاء دار في اللج المهيب
إن حقاً دون نار حكمة وهو شعر إن يصب نار القلوب

اليراعة

وذرة حقيرة قد جمعت قواها كأنها فراشة من حرق تصلاها
قد نورت دجاها
فهي أياة خلقت وأنعقدت شوارا من حرقة في قلبها تحولت نضارا
وبصرا نظارا

فـــراشـــةٌ فـــي قلـــقٍ تطيـــرُ كـــلَّ نـــاحيـــه
علـــى اللَّهيـــب رفـــرفَـــتْ حتَّـــى كـــأنَّـــه هيَـــه
أنـــا وأنـــت قـــاليـــه[2]

(١) واحدة الشقائق ، التي تسمى شقائق النعمان ، ومي في الشعر مثال لحرقة القلب انظر المقدمة .

(٢) يعني : تحبُّ الوحدة وتكره التَّعدد ؛ الذي يقال فيه : أنا وأنت .

أو كـــوكـــبٌ فـــي صـــدره مُستتـــــرُ الضِّيـــــاءِ
وقـــد تـــدلَّـــى هـــابطـــاً فـــــي الأرضِ لاجتـــــلاءِ
مـــــن فلـــــك السَّمـــــاءِ
أو قمـــــــر مصغّـــــرٌ بجلـــــــوةِ تمـــــامُ
فمنَّـــــةُ الشمـــــس علـــــى شُعـــــاعـــــه حـــــرامُ
لـــــم يحـــــوه مُقـــــام
يـــا لـــك مـــن يـــراعـــة تصـــوَّرت مـــن نـــورِ
مَسيـــــرهـــــا سِلْسِلَـ ـــــةُ الغيـــابِ والحضـــورِ
وسنَّـــــــة الظهـــــور
يـــا مشعـــلاً للطَّيـــر فـــي معتكـــــرِ الظَّـــــلام
مـــا حُـــرقـــة أحسستهـــا فـــأنـــت فـــي هُيـــام ؟
حـــــرارةُ الإقـــــدام
نحـــن ـ وقـــد نبتنـــا مثلـــك مـــن تـــراب ـ
نجهـــل فـــي اضطـــرابِ نبصـــر فـــي اضطـــراب
نُخفـــق فـــي الطِّـــلاب
أقـــــولُ قـــــول واعٍ مجـــــرِّبٍ شفيـــــق :
لا تسعيَـــــنْ لنُـــــزْلٍ وامـــضِ علـــى الطَّـــريـــق
وارضَ بـــذا التـــوفيـــقِ

***

الحقيقة

تقـول لبطـةٍ صَحبـت عُقـاب : أرى مـا أدركـتْ عينـي سـرابـا
أجـابتهـا محـاورةً بحـق ولكنـي أرى مـاءً عُبـابـا
فقـال الحـوتُ فـي لُـجٍّ عميـق : هنـا شـيءٌ ويضطـرب اضطـرابـا

***

حداء

نغمةُ حادي الحجاز

يـــا نـــاقتـــي الخطَّـــارهْ
وظبيتـــــي المعطـــــارهْ
وعُـــدَّتـــي والشَّـــاره
والمـــــالُ والتجـــــارهْ
يـــا دولتـــي السيـــارهْ !
حُثِّـــي الخطـــى قليـــلاً منـــزلنـــا قـــريـــبُ
مطـــربـــةُ الـــرُّغـــاء
جميلـــــةُ الـــــرُّواء
محســـــودةُ الحسنـــــاء
وغَيـــــرةُ الحـــــوراء
بُنَيَّـــــةَ الصَّحـــــراء !
حُثِّـــي الخطـــى قليـــلاً منـــزلنـــا قـــريـــبُ
كـم غُصتِ فـي السَّراب
فـــي وقـــدة اليبـــاب
وســـرتِ لـــم تهـــابـــي
فـــي اللَّيـــل كـــالشِّهـــاب
والنَّـــومُ عنـــك نـــائـــي
حُثِّـــي الخطـــى قليـــلاً منـــزلُنـــا قـــريـــب
قطعـــةُ غيـــمٍ غـــادي
سفينـــــةُ الـــــروَّاد
كـالخضـر فـي البـوادي

تمضيـــن فـــي ســـداد
فلـذةَ قلـب الحـادي !
حُثِّـي الخطـى قليـلاً منـزلُنـا قـريـب
هُيـامـكِ الـزَّمـام
وسَيـركِ الأنغـام
يتعبُـك المُقـام
لا الجـوع والأوام
والسَّفـر المُـدام
حُثِّـي الخطـى قليـلاً منـزلُنـا قـريـب
ممسيـةٌ فـي اليمـنِ
مصبحـةٌ فـي قَـرَنِ
تـريـنَ حُـزنَ الـوطـنِ
كـالخـزِّ تحـت الثَّفـنِ
إيـه غـزالَ الخُتَـنِ !
حُثِّـي الخطـى قليـلاً منـزلُنـا قـريـب
بـدر السمـاء نَعسـا
خلـف التِّـلال خَنسـا
والصُّبـحُ قـد تنفَّسـا
مـزَّق هـذا الغلَسـا
والـريـح تـزجـي نفسـا
حُثِّـي الخطـى قليـلاً منـزلُنـا قـريـب
لحنـي دواءُ السَّقـم
والـروحُ مـلءُ نَغمـي
يحـدو الـركـاب كَلِمـي
مـنْ جَـارحٍ وبلسـم

هلـــمَّ بنـــتَ الحـــرمِ !
حُثِّـــي الخطـــى قليـــلاً منـــزلُنـــا قـــريـــب

* * *

بين الله والإنسان

خَلَقْـــتُ الأنـــام لطيـــنٍ ومـــاء خلقـــتُ تتـــاراً وزنجـــاً وفُـــرسـا
خلقـــتُ مـــن التُّـــرب هـــذا الحـــديـــد وسهمـــاً خلقـــتُ وسَيفـــاً وتُـــرسـا
وفـــأســاً خلقـــتَ لجـــذعٍ وغُصـــنِ وسجنـــاً صنعـــتَ لطيـــر مغنِّـــي

الإنسان :

خلقـــتَ الظَّـــلام فصُغـــتُ السِّـــراج وطينـــاً خلقـــتَ فصُغـــتُ الكـــؤوسـا
خلقـــتَ جبـــالًا وبيـــداً ومـــرجـــاً خلقـــتُ حـــدائقهـــا والغـــروســا
أنـــا مـــنْ حجـــارٍ صنعـــتُ مـــرايـــا أنـــا مِـــنْ سمـــومٍ صنعـــت دوايـــا

* * *

اليراعة

تَقـــولُ يـــراعـــةٌ : لا تحسبنِّـــي كنَمـــلِ السُّـــوء يـــألمنـــي رفيقـــي
ولا أعشـــو إلـــى نيـــران غيـــري كمـــا يهفـــو الفـــراش على الحَـــريـــقِ
إذا حلَـــك الظـــلامُ كعيـــن ظبـــيٍ أنـــرتُ بنـــورِ أضـــلاعـــي طـــريقـــي

* * *

وَحْدة

قَـــدْ قلـــتُ للبحـــر يـــومـــاً فـــي مـــوجـــه المتعـــالـــي

أراك حلـــــف طـــــلابٍ فمـــــا تُكـــــنُّ ببـــــالِ ؟
وكَـــمْ ـَـويـــتَ بصـــدرٍ مـــن لامعـــات الـــلآلـــي
أفيـــكَ مثْلـــيَ صـــدرٌ بجـــوهـــر القلـــبِ حـــالـــي ؟
فصـــدَّ عنِّـــي بجَـــزرٍ ولـــم يـــردَّ ســـؤالـــي
وقلـــتُ للطـــود يـــومـــاً : يـــا خـــاليـــاً مـــنْ عَنـــاء
أنـــال سَمْعَـــكَ صـــوتٌ مـــن زفـــرة وبُكـــاء
إنْ كنـــتَ تحـــوي عقيقـــاً بـــه عـــروقُ دِمـــاء
فـــواسنـــي بحـــديـــثٍ إنِّـــي حليـــفُ شقـــاء
فَصَـــدَّ عنِّـــي صَمـــوتـــاً ولـــم يـــردَّ ســـؤالـــي
جَـــدَدْتُ فـــي السيـــر حتَّـــى أتيْـــتُ بـــدرَ السَّمـــاء
فقُلـــتُ : يـــا نضـــو سيـــرٍ إلـــى متـــى فـــي مَضـــاء
الأرضُ مـــرجُ زهـــورٍ مـــن نـــورِكَ الـــلألاء
أخْلـــفَ نـــورِكَ قلـــبٌ فـــي حـــرقـــةٍ وعنـــاءِ
رأى الكـــواكـــبَ تـــرنـــو فلـــم يـــردَّ ســـؤالـــي
وقُلـــتُ لله ربِّـــي مـــن بعـــد طـــوف البـــريَّـــة :
أمـــا بـــدنيـــاكَ هَـــذي مـــنْ ذرَّة لـــي نجيَّـــة ؟
أكـــلُّ طينـــيَ قلـــبٌ وذي البـــرايـــا خليَّـــة
طـــابـــت مُـــروجٌ ولكـــنْ ليســـت بشـــدوى حـــربـــه
أجـــابنـــي بـــابتسَـــامٍ ولـــم يـــردَّ ســـؤالـــي

***

قطرةُ النَّدى

قـــد قيـــل لـــي تـــدلَّـــي مـــنْ فَلَـــك الـــدَّراري
وَاسْتحكمـــي وسيـــرِي للبحـــرِ ذي التَّيَّـــارِ

فـي المـوجِ لا تحـاري
تحـوَّلـي واخْتَـاري
فـي الـدُّرر الكبـارِ

فمـا رضيـتُ بحـراً لصُحبتـي بحـالِ
عفـتُ احتسـاءَ رَاحٍ تَسلُبنـي خـلالـي
ما ضقْتُ من خصالي
وعشـت فـي اعتـزالِ
قطـرتُ كـاللآلـي

الـورد لـي سـؤول : مـا خطْـبُ طيـر السَّحـرِ
ومـا جهـاتُ النَّظـرِ ؟
ومـا وَرَاء البَصَـرِ ؟
ما الشَّوْك حول الزَّهر

مـا نحـن فـي اصطحـاب ؟ مـن نحـنُ يـا ودُودُ ؟
مـا طـائـري المغنِّـي رجَّحـه الأملـود ؟
مـا يقصـدُ الغـرِّيـد ؟
ومـا الصَّبـا تُـريـد ؟
مـا العـالَـمُ العَتيـدُ ؟

فقُلـتُ : المُـروجُ حـر بُ الحيـاة فـي الآفـاق
حَفـلٌ لـهُ نظَـام مـنْ لـذَّة الفـراقِ
الـرُّوحُ مـنْ إشْـراقِ
ونَفسـي أشـواقـي
سـرٌّ مـن الخَـلاَّقِ

مِـنْ فلـكِ هُبُـوطـي مـن طينـةٍ فتقـتِ
مِـنْ لـذَّةِ التَّجلِّـي نمـوتِ إذ أشـرقـتِ

في الغُصْنِ قَدْ خَفَقْتِ
كم حُجُبٍ مزَّقتِ
نفسك قدْ حقَّقتِ

الدَّهرُ في اخضِرار مِنْ دَمْعِنا في السَّحَرِ
وذي الجهات طرَّاً خِداعُنا في النَّظر
بالصَّدر سربُ الزُّهُر[1]
من قَلْبنا كالشَّررِ
ونُورنا في البَصَر

في ثوبِ وردٍ إبرُ مِنْ شوكة تصول
شوكٌ ، أجلْ ، ولكن نادمه الجميل
مِنْ عشقهِ نحيلُ وعنده الخليلُ
في روضهِ أصيل
القَلْبَ أخلينهْ مِن صُحْبَةِ الدُّهورِ
عينك فافتحَنْهَا لِلْكَوكَبِ المنيرِ
وصحبةِ البصير مثلي هلُمَّ طيري
وفي الفلكِ الكبيرِ

***

العشق

فكريَ قد أجدَّ كلَّ سيرِ وطَافَ بَينَ حرمٍ ودَيْرِ
عدتُ للطلاب في البَرَاري مرتدياً بالنَّقعِ كالإعصارِ

---

(١) الزُّهُر : النُّجوم .

بغيرِ خضرٍ أطلُبُ المنازل[1] يحملُ رحلي للخيالِ كاهلُ
تطلُبُ راحاً كأسيَ الحطيمُ كالصُّبح من شباكهِ النَّسيمُ
منطوياً كالمَوجِ في البحارِ حيران كالإعصار في الصّحاري
عشقُكَ فَاضَ بغتةً بقلبي وحلَّ كلَّ عُقدةٍ في لبِّي
عرَّفني الوُجودَ والفَناء وصار ديري حَرماً وضَّاء
على حَصيدي مرَّ كالبُروق[2] عرَّفني لَذاذةَ الحريقِ
صُعِقتُ توّاً وسُلبتُ حِسِّي فُصِلْتُ من نفسيَ مثلَ العَكْسِ[3]
رَفَعتُ للعَرْشِ العليِّ تُربي بالسرِّ قَدْ أفْشَيْتُه لِقَلْبي
وبلَغتْ سَفينتي مُرسَاهَا وفاضَ قُبحي رونقاً وتَاهَا
عندي حديثُ العِشق لا سِواه لا أحملُ الملامَ في بَلواهُ
غنيتُ عَنْ وَمضِ العُلومِ حَسبي خفقي ونَاري ودُموعُ الحبِّ

* * *

حياتَك فابغِ في الخطر الجليل

غزالٌ بثَّ شكواه غَزَالا فَقَال سأقصُدُ البلَدَ الحرامَا
أرى الصَّيَّاد حولي كلَّ حينٍ فلا أستطيعُ في أرضٍ مُقاما
أبدِّل خيفةَ الصَّيَّاد أمْنا وأنفي الغمَّ عن قلبي المعنَّىٰ
أجابَ رفيقُه أن يا خَليلي حَياتَكَ فابغِ في الخَطَرِ الجَليل
ونفْسَكَ فَاشحذنْ في كلِّ آنِ وعش أمضَى من السيف اليمَاني

---

(١) بغير دليل ، كما دل الخضر الإسكندر .

(٢) يكثر في الشعر الفارسي ذكر إحراق البرق البيدر ، ويكني به الصوفية عن قطع العشق علائق الإنسان بالدُّنيا .

(٣) العكس : الصورة . والكلمة نفسها في الأصل .

ففـي الأخطـار لِلْهِمَـمِ اختبـارُ لأرواحٍ وأجسـادٍ عيـارُ

* * *

الحياة

قـد سـألنـا عـن الحيـاةِ حَكيمـاً قـال : خَمـرٌ يطيـبُ فيهَـا الأمـرُّ
قُلـتُ : بـل دُودةٌ نمـت فـي تُـرابٍ قـال : لا ! بـل سَمَنـدر لا يقـرُّ[1]
قلتُ : والشر طبعها . قال : لا بل خيـرَهـا قـد جَهلـتَ والجَهـلُ شـرُّ
قُلـتُ : مـا شـوقهـا يسيـر لنُـزْلٍ قـال : فـي الشـوقِ منـزل مستسـرُّ
قُلتُ : في الطِّين خَلْقُها قال فانظُر : شقّـت الطيـن حبَّـةٌ فهـي زهْـرُ

* * *

الحور والشاعر

(معارضة لقصيدة الحور والشاعر لجوته)

الحور :

لا الخمـرُ يـومـاً تطيِّبُـكَ ولا إلينـا أنـتَ نـاظـرُ
إنِّـي عَجِبْـتُ لشـاعـرٍ بهـوى الأحبـةِ غيـرِ شـاعـرِ
مِـنْ حُـرِّ أنغـامِ الـرَّجـاء وحـرقـةِ الطَّلـب المثـابـر
نَفـسٌ تـذيـبُ بلـوعـةٍ وتغـزُّلٌ يشجـو المـزاهـرِ
وخلقـتَ بـالألحـان دنيـا كَ العجيبـةَ خَلْـقَ شـاعـرِ
تبـدو لهـا إرَمُ كمـا يبـدو لعيـنِ فِعْـلُ سـاحـرِ

---

(١) السَّمندر : حيوان خرافي يعيش في النَّار .

الشاعر :

تَخْـــدَعَـــنْ قلـــبَ مســـافـــرٍ بـــالسِّحْـــرِ مـــنْ وخَـــزات قـــائـــلِ
مـــا إنْ تحـــاكـــي لـــذَّةً وخـــزاتِ شَـــوكٍ فـــي المجـــاهـــلِ
مـــاذا أقـــولُ وفطـــرتـــي لا تَـــرتضـــي دَعـــة المنـــازلِ
قلبـــي علـــى قلـــقٍ كمـــا تهفـــو الصَّبـــا حـــولَ الخمـــائـــلِ
فـــإذا نظـــرتُ إلـــى جميـــلٍ رائـــعِ حلـــوِ الشَّمـــائـــلِ
خَفَـــقَ الفـــؤادُ إلـــى الَّـــذي يعلـــوه حسنـــاً فـــي المحـــافـــلِ
فمـــنَ الشـــرار إلـــى النُّجـــوم إلـــى الشُّمـــوس رقـــيّ آمـــلِ
إنِّـــي ليهلكنـــي القـــرارُ فمـــا أعـــوجُ علـــى المـــراحـــلِ
وإذا شـــربـــتُ مـــنَ الـــرَّبيـــع الكـــاس تســـري فـــي المفـــاصـــلِ
أشـــــدو بشعـــــرٍ آخـــــرٍ وربيعـــــي الآتـــــي أغـــــازلُ
طلبـــي النهـــايـــةُ فـــي الَّـــذي لا ينتهـــي فيـــه المُســـائـــلُ
لا صـــابـــرٌ نَظَـــري ولا قلبـــي عـــن الآمـــالِ غـــافـــلُ
تـــودي قلـــوبُ العـــاشقيـــن بـــدارة الخلـــدِ المُـــوَاصـــلُ
لا صـــوتُ محـــزونٍ ولا ألَـــم ولا واسٍ يســـائـــلُ

* * *

الحياةُ والعمل

(جواب لنظم هاتنا[1] المسمَّى سؤالات)

يقـول السـاحـل المسكيـنُ : دهـراً حييتُ ولم يَبِنْ لي ما أكون . . ؟

---

(١) هاتنا : شاعر ألماني .

فقال الموج في صخبٍ وسيرٍ : وجودي السَّيرُ والعَدَمُ السُّكون

* * *

الملكُ لله

طارقٌ أحرق السَّفين فقالوا : ليسَ هذا منْ فعله برشيد
غرباءٌ ومن لنا برجوعٍ ذا خطارٌ في الشرع غيرُ سديد
أمسك السَّيفَ طارقُ في ابتسامٍ قائلاً واثقاً بعزمٍ شديد :
مُلكنا اليوم خالصاً كلُّ مُلكٍ إنَّه مُلك ربِّنا المعبود

* * *

النهر (١)

انظر النهر جارياً في هُيامٍ بين خُضر المروج مثل المجرَّه
كان في المهد في السَّحاب نؤوماً شاقه السَّير في مروجٍ وخضره
يبعث اللحنَ جارياً فوق صخرٍ صافي اللَّون في بهاءٍ ونضره
يقصد البحر ذا العبابُ طروبا وعَزوفاً عن كلِّ شيءٍ غريبا
مَنَحتْهُ يدُ الرَّبيع طريقاً من أقاحٍ ونرجسٍ وشقيقِ
يضحك الوردُ إنْ تلبَّث لدينا ويقول البرعوم : قف يا صديقي
وهو قالٍ عرائسَ المرج ماضٍ في الرُّبى والوهادِ غير رفيقِ

---

(١) ترجمة نظم جوته المسمَّى نغمة محمد مع تصرفٍ كبير . وفي هذا النظم الذي كتب قبل « ديوان الغرب » بكثير أحسن الشاعر في بيان تصوير الإسلام للحياة ، وقد أريد بهذا النظم أن يكون جزءاً من قصةٍ إسلامية لم تكمل . وإنما أردنا بهذه الترجمة أن نبين عن رأي لجوته فحسب .

وعـزوفـاً عـن كـلِّ شـيءٍ غـريبـا ... يقصـد البحـرَ ذا العُبـاب طـروبـا
ومئات الأنهار في الحَزْنِ والسَّهل ... تُنـاديـه : يـا فسيـحَ المجـالِ
قَـدْ حمـانـا المسيـرَ قِلّـةُ مـاءٍ ... فـارْحمنَّا من بغي هـذي الـرمـالِ
أفسـحِ الصَّـدر للـرِّيـاح سـريعـاً ... حـامـلاً رفقـةً ضعـاف الحـالِ
يقصـد البحـرَ ذا العبـابُ طـروبـا ... حـامـلاً جـوهـراً كثيـراً عجيبـا
هَـدَرَ النَّهـر جـائـزاً كـلَّ سـدٍّ ... جـاز ضيـق السُّفـوح والـوديـانِ
فـاض سيـلاً علـى رُبـى ووهـادٍ ... جـاز كـلَّ المـروجِ والبلـدان
هـائجـاً زاخـراً سـريعـاً مشـوقـاً ... بجـديـدٍ يمـرُّ كـلَّ زمـان
يقصـد البحـر ذا العُبـاب طـروبـا ... وعـزوفـاً عـن كـلِّ شـيءٍ غـريبـا

***

الجنَّة

وأيـن بجنَّـةٍ لعـب اللَّيـالـي ... وليـس هنـاك مـن فلـكٍ يـدورُ
ولا فيهـا ليـوسـف غـمُّ سجـنٍ ... ولا فيهـا زُليخـا تَسْتجيـرُ
وليْـسَ خَليلُهـا يصلَـى بنـارٍ ... ولا بكليمهـا شـررٌ يَثـور
وليـس لِصَـرصـر فيهـا هُبـوبٌ ... فَـزَوْرَقُهـا علـى أمـنٍ يَسيـرُ
ولا ليَقينهـا « هـل » أو « عسى أن » ... ولا لِـوِصَـالهـا هجـر مـريـرُ
وكيـفَ يلـذُّ عَقـلٌ ذُو ضـلالٍ ... إذا وَضحـت طـريـقٌ لا تَجـورُ
فـلا تَحفـل بكـونٍ فيـه نقـصٌ ... بـه المـولـى وليـس بـه الغَـرورُ

***

العِشْق

العقـلُ يُحـرقُ عـالمـاً ... فـي جَلـوة منـه تُغيـرْ

لكنَّـــه بـــالعِشْـــقِ يعـــرفُ كَيـــفَ فـــي الـــدنيـــا يُنيـــرْ
العِشْـــقُ فـــي الأرواح يخلـــق كـــلَّ لـــونٍ أو يثيـــرْ
إنِّـــي لأذكـــر راقصـــاً ذا الحـــرف أو هـــو بـــي يـــدور
بـــالعِشْـــقِ تـــرتـــاح القلـــوبُ وإنَّـــه فيهـــا سعيـــرْ
مـــا كـــل معنـــىً ينطـــوي فـــي اللَّفـــظ ، كـــم معنـــى يثـــور
أنصـــت لقلبـــك ســـاعـــةً فلعلَّمـــا يـــدنـــو العسيـــر

* * *

لغزُ السَّيف

مـــا جـــاهـــدٌ يُنبـــطُ مـــاء الحجـــر لا يَهتدي بالخضْر كالإسكندر ؟
كنظـــرِ العيـــنِ صفـــيٌّ مشـــرقُ لا بلـــل وهـــو غـــريـــقُ نهـــر
مصـــراعـــه مكمَّـــل منفـــردُ ليـــس عليـــه منَّـــةٌ لـــلأشطـــر

* * *

الجمهورية

تريد معنى العُلى منْ ساقطي همم وأيـن للنَّمـل إقـدام السُّليمـاني[1]
فاتبع حكيماً ودعْ جمهورَهم ، أترى بـألـفِ رأسِ حمـارٍ عقـلَ إنسـان ؟

* * *

(١) نسبة إلى سليمان الحكيم ، وقصته مع النمل معروفة .

إلى داعية الإسلام
في بلاد الفرنج

الـدَّهْـرُ عـادَ بنـار نمـرود ... جَـوْهـرُ الإسـلام رَهـنُ تجـديـد
هَلـمَّ نُلـق الحجـابَ عـن حُـرَقٍ ... كالشَّمس تغشى الورى بتجريد[1]
أمللـتَ حُـور الفـرنـج مـنْ حكـمٍ ... ورُعـت أصنـامَهُـم بتـوحيـد
فقـل لأهـل الحجـاز عـن سلمـى ... وبـثَّ فـي التـرك شـوق معمـود
علـى خـراسـان والعـراقَ فعـج ... وردَّ للعُجْـمِ شـوق تغـريـد[2]
كـم انتظـرنـا لعـارفٍ ولكـم ... شجـا « جمـال »[3] بلحـنِ مفـؤود
جعلـتَ عشقـاً حـديـث ذي هَـوس ... نَثَـرْتَ درَّ الكـلام بـالبيـد

* * *

غنَّى الكشميريُّ[4]

غنّـى أخـو الشِّعـر ربُّ البيـان ... وبلبـلُ كشميـرَ ذاتِ الجنـان
يفتِّـح أبـوابـه إنْ نـدر ... ويغلقهـا جـاهـداً إنْ حضـر[5]
فقيـل لـه : يـا أنيـس القلـوب ... عجبنـا وفعلُـكَ أمـرٌ عجيـب
فمـاذا أجـاب الهمـامُ الفقيـر ؟ ... فقيـر بملـك المعـانـي أميـر :
أإخـوانـنـا مـا رأيتـم سـداد ... أفـي الـدار غيـري متـاعٌ يـراد ؟

---

(١) أي بظهورها دون حجاب وفي الأصل بالعري .
(٢) خراسان والعراق من ألحان الموسيقا أيضاً .
(٣) جمال الدين الأفغاني .
(٤) محمد طاهر الكشميري الشاعر المتوفى سنة ١٢٨٧هـ .
(٥) ندر : خرج وهي لغة الحجاز اليوم .

إذا كـان فـي الـدار ربُّ العـريـن غنَّـى ففيهـا متـاعٌ ثميـن
وإنْ غـاب عنهـا أنيـسُ الـورى فـلا دارَ أفـرغَ منهـا تُـرى

***

إلى مصطفى كمال باشا[1]
حزيران (١٩٢٢م)

أمَّـة كـانـت ومـن حكمتهـا نحـنُ آثـارٌ علـى مـرِّ العُصـور
قـد عـرفنـا سـرَّ تقـديرِ مضـى فمضينـا نقتفـي سـرَّ الـدهـور
شـرراً كنـا ، أجـدنـا نظـراً فـإذا شمـسٌ علـى الكـونِ تسيـر
شيخـاً أطفـأ فـي أحشـائـه نـارَ عِشْـقٍ فخنعنـا فـي فتـور
صـرصـر البيـداء فـي فطـرتنـا أذبلتْ ريحُ الصَّبا فينا الزُّهور[2]
وعلـى الأفـلاك دوَّى صـوتنـا فـاسمعنْـه اليـوم فـي نَـوحِ الأسير
رُبَّ صيـدٍ قـد أخـذنـا وثبـةً دون أشـراكٍ كمـا انقضَّـت صقـور
وغـدونـا يـوقِـعُ الصيـدُ بنـا ولنـا قـوسٌ وسهـمٌ فـي الجفيـر
« كلَّمـا أمكـن طـرفٌ فـاركضَـنْ كم أمات العزمَ تدبيرُ الأمور[3] »

***

الطَّائرة

علـى غصـنِ وردٍ بـوقـت السَّحـر نغـا طـائـرٌ لطيـورٍ أخـر :

---

(١) كان الشاعر معجباً بمصطفى كمال إعجابه بالعزم والإقدام ، فلما رآه يقلِّد الفرنج عابه وقال : إنَّ جديده قديمُ أوربة .

(٢) يعني خلقنا للجهاد فأضعفنا الترف .

(٣) البيت الأخير للشاعر نظيري .

« لقد سُلب الأجنُح الآدميّ ومكّن في الأرض هذا الغبيّ »
فقلت له : « يا أميرَ الرِّياح أفي الحقِّ إن قلبته من جناح . . ؟
بطائرةٍ قد ركبنا الهواء شققنا بها في عَنان السَّماء
وأية طائرة في الفلك يفوت مداها جَناحَ الملَك
لها عزم صقرٍ وأيدُ عقاب بلاهور[1] ترنو إلى فارياب[2]
تُدوّي وتزفر حين السِّفار وفي العشِّ صمتٌ كحوت البحار
من الطِّين صار لنا جبرئيل من الأرض نحو السماء دليل »
وعى الطائر الألمعيُّ الكلام وأبصر ما قلتُه في الخصام
فأهوى إلى ريشه ينقر وقال مقالَك لا أنكر
فيا مَنْ يروقُك عقدٌ وحلُّ وفي قيد سحرك عُلْوٌ وسُفْلُ
أأصلحت في الأرض بعد عناء فجئت لتصلحَ جوَّ السَّماء[3]

* * *

العِشْقُ

هو الحرفُ ضاءتْ عليه القلوب وليس بسرٍّ وسرّاً يرى
هلم أُنبِّئكَ قولَ الخبير بمن قد رواه وعمَّن روى
وعاه النَّدى خلسةً في السَّماء وأسمعه الوردَ قطرُ النَّدى
وباح به الوردُ للعندليب عن العندليب روته الصَّبا[4]

* * *

---

(١) لاهور تقع في باكستان وهي إحدى كبريات مدنها ، وعاصمة ولاية بنجاب اليوم .
(٢) فارياب ، تقع في تركستان .
(٣) البيت الأخير للشيخ سعدي الشيرازي .
(٤) أبيات تمثِّل تطور العشق من قطرة إلى غِناء بلبل إلى خفق الرِّيح .

ناچیز جہانِ مرد و پرویں ترے آگے
وہ عالمِ مجبور ہے، تو عالمِ آزاد!

القسم الثالث

الخَمر البَاقِية

(غزليَّات)

پرندوں کی دنیا کا درویش ہوں میں
کہ شاہیں بناتا نہیں آشیانہ!

حبا الربيعُ رُبانا ... محافلَ التَّغريد

فاستيقظت أكمام ... للبلبل الغرِّيد

لا تحسبنَّ أنْ خُلقنا ... في صبح دهرٍ مديد

فما تزال خيالاً ... حوى ضمير الوُجود

لا تغترر بعلوم ... الكأس خير شهيد

إنَّ الفقيه مُريبٌ ... فلا تكنْ بمُريد

ضمَّ الربيعُ شتيـ ... ـتَ الأورادِ بالتنضيد

وبثَّ ريحاً ولوناً ... أنظارنا في الورود

من يُحكمن نظراتٍ ... لنفسه في شهود

لم يشدُ يوماً بغيب ... كلاً ولا موجود

قد قال في ألحان فاسـ ... ـمعْ مقال شيخٍ رشيد :

في كلِّ دهرٍ خليلٌ ... والنَّار من نمرود[1]

لا تلحينَ أهل ديرٍ ... فالعِشْقُ جدُّ عنيد

أقام أوثان حبٍّ ... في القلبِ من محمود[2]

يضيع شدو حياةٍ ... ينساب بين الهنود

فالميت ليس بحيٍّ ... بالنفخ من داود

* * *

عقلُنا ينحتُ رباً كلَّ حين ... فهو من قيدٍ إلى قيدٍ رهين

ارفعِ البرقع جهراً لا تُبلْ ... ليس في حيِّك غيري ذو حنين

---

(١) إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل ونمرود الذي ألقاه في النار .

(٢) السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب بمحطم الأصنام .

أنا من عينيَّ غيورٌ ناسج ... نظراتي لك ستراً في العيون
بسمةُ خَلس ودمعٌ ورناً ... ليس في الحُبِّ سواها من يمين
حبَّذا العِشْق ففي يوم النَّوى ... زاد باللَّوعة عهدٌ لا يمين
أيها الطائر من صدري اقبسنْ ... لتزيدَ النّار في هذا الأنين
عُود تيمور مضى لا لحنُه ... هو في لحن سمرقند يبين
سادنُ الكعبةِ لا تأذَنْ له ... فلإقبال إلهٌ كلَّ حين

* * *

شكوايَ أمرٌ عجيب ... من نور عيني شكاتي
فنظرتي لي حجاب ... وأنت في الجلوات
أبلغ خلائق نورٍ ... الحق من كلماتي[1]
حذارِ كفَّ تراب ... للنَّفس في نظرات[2]
في محفلٍ من ربيع ... نذوب من حرقات
بالرِّيش منا شرار ... في الفجر من آهات
يا واهنَ النَّفس تدري ... من أين لي نغماتي ؟
حواكَ كونٌ بعيدٌ ... من عالمي وجهاتي
مثلَ الشَّقيق تراني ... بالرَّوض في حسرات
والقلب عُرضة رمي ... من أسهم اللَّحظات
في عرف أهلِ قلوبٍ ... الكَدْحُ سرُّ الحياة
لكعبتي لم أسافِر ... للأمن في طرقاتي
وكم قبيل أقاموا ... وأدبروا في شتات

---

(١) يعني بخلائق النور الملائكة .
(٢) كف التراب : الإنسان ، والنظر إلى النَّفس من فلسفة إقبال التي سماها « أسرار خودي » .

فـــي دارة ضـــاء فيهـــا الهـــلال فـــي مشكـــاة[1]
فـــاخلـــق بطينـــك خلقـــاً ذا يقظـــةٍ وحصـــاة
مثـــلُ اتســـامِ شـــرارٍ تلبَّـــث الفـــرصـــات[2]
إنْ لـــم تكـــنْ ذا فضـــولٍ فتلـــك إحـــدى نكـــاتـــي
العِشْـــقُ أبعـــدُ شـــأنـــاً مـــن ضـــائـــع الأنَّـــات
فـــي العجـــم أزكـــى نشيـــدي مـــا بـــاخ مـــن جمـــرات
والعُـــرب مـــن نـــارِ شـــوقـــي لـــم تـــأتهـــم نفثـــاتـــي

* * *

فـــي ذلـــك الحفـــل ســـؤلـــي عـــن مَحـــرمٍ بـــي حقيـــق
لـــذاك أزجـــى غنـــائـــي وفيـــه لحـــنُ الصَّـــديـــق[3]
فـــي خلـــوة كـــلٌ لفـــظٍ فيهـــا كستـــرٍ صفيـــق
يبـــثُ قلبـــي حـــديثـــاً بمقلتـــي وبمـــوقـــي
مـــن أجـــل نظـــرة وجـــدٍ لـــوجهـــك المـــرمـــوق
مطهَّـــر نظـــراتـــي بـــدمـــع عيـــنٍ طليـــق
كـــالكِـــمِّ كـــلُّ أمـــوري لعقـــدة ولضيـــق[4]
لكـــن الجلـــوة شمـــسٌ أنمـــو بقلـــبٍ مَشـــوق
كـــالمـــوجِ ، ليـــس كيـــانـــي يهـــاب سيـــل العقيـــق[5]
ولســـت فـــي البحـــر أبغـــي إلـــى الشطـــوط طـــريقـــي

---

(١) يعني الدنيا جعلها داراً صغيرة فيها القمر كسراج في مشكاة .
(٢) فرصات : جمع فرصة .
(٣) اللحن : الرمز في الكلام .
(٤) يتخيَّل الشاعر أن كم الزَّهر لانطباقه معقود .
(٥) العقيق : هو كل سيل كبير يشقُّ الأرض وواد بالمدينة .

ما بين عينٍ ورأيٍ ... بيني وبين صديقي[1]
مهما تباعد عنّي ... فكلُّ حينٍ رفيقي
قد خطَّ في ستر عيني ... نقوشُ كونٍ أنيق[2]
بشعوذات أراني ... في قيد سحرٍ وثيق
في قبَّة قد أحاطت ... لا أرتضي بالضِّيق
شوكٌ بجنب سماء ... لا بدَّ لي من مُروق
لا أستريح بعُشٍّ ... من لذة التحليق
طوراً بشاطىء نهرٍ ... طوراً بروضٍ شقيق

* * *

المغنّي الصبيح في ألحانِ ... ورياضُ الرَّبيع ألواحُ ماني[3]
وتحيي دم الربيع شقيق ... أيُّ ظمأ به إلى الألوان ؟
نغمةٌ تفتح العيون لمعنى ... ضاق عنه طرائق التبيان
فتأمَّل بعين عشقٍ وأبصِرْ ... منه آياً تُضيءُ دون بيان
فعيونُ العقولِ تُظْهِرُ فيها ... هذه الكائناتُ سحرَ العيان
وعن عشقٍ خُذْ دروسَ جهادٍ ... وافعلن ما تشاء في كلِّ آن
إنما العشق جوهرٌ لشعورٍ ... وهو روحُ الإدراك والعرفان
ولنا غاية من الشَّمس أعلى ... إنها الشَّمس صُوَّة الرُّكبان[4]
إيه يا قطرةً عنِ النفسِ تاهتْ ... تطلبينَ المحالَ في الأكوان

---

(١) الرأي : رأي العين .

(٢) في هذا إشارة إلى الصور التي تسمّى خيال الظل ، فالستر يظهر عليه الخيال لا الحقيقة ، فهو يقول : إنَّ هذا العالم نقوش في ستر العين تخدع عن الحقائق .

(٣) ماني : صاحب مذهب المانوية كان ماهراً في التصوير ، وترك ألواحاً مصورةً في كتاب عرف باسم « أرزنك » ضرب به المثل .

(٤) الصوّة : أحجار تجعل علامة على الطريق .

إنَّ عـاراً معيشـة البحـر إن لـم تطلعـي منـه درَّةً ذات شـان
يـا جهـولاً بقـدر نفسـك لـولا أنـت كـان العتيـق كـالصَّـوان[1]

* * *

قد هدمتُ الأصنام لم أرضَ شكلاً أنـا سيـلٌ هـدمـتُ كـلَّ سـدودي
ومـن العِشْـقِ قـد رأيـتُ كيـانـي كـان عقلـي يُـريـنـي وجـودي
وبـديـرٍ ضـراعتـي وهـو أنـي وصـلاتـي بكعبـةِ التَّـوحيـد
ومـن الـذكـر سُبحتـي بيمينـي فـاعجبَـنْ مـن زنَّـاري المعقـود
منبـع الحـزن فيـك غيـر نضـوبٍ دمـعُ قلبـي حبستُـه عـن خـدودي
راق قـولـي ، وسيـرتـي لجنـونٍ : خمـرُ شـوقٍ لسكـرتـي وشهـودي

* * *

طـوبـى لمحـرق عقـلٍ بنـارِ راحٍ عتيـق
مَـنْ يعتنـي بمتـاعٍ مـنْ نـاره كـالشَّقيـق
أوحـى الـرَّبيـعُ إلـى الـزا هـديـن بيـع الـدلـوق[2]
فـاغـرس بـالكـأس الحميَّـا بستـان وجـهٍ أنيـق
قلبـي رثـى لفقيـهٍ مجـاورٍ بـالعتيـق
مـا اتبـاعـه شيـخ خـان فتـوى بكـأسِ رحيـقِ
اللحـنُ لا تقـدرُونـه علـى غنـائـي الـرقيـق
فبـرقـةُ اللَّحـن تغشـى إسكنـدراً بحـريـق
لـروضِ « ويمـر » تهـدي الصَّبـا سـلام مشـوق[3]
فـذي الـدِّيـار أَضـاءتْ لعيـنِ ذي تحقيـق

* * *

---

(١) يعني أنَّ الإنسان جهل قدر نفسه وقدَّر أشياء ليس لها قيمة إلَّا بتقديره .
(٢) الدلوق : جمع دلق ، وهو لباس بالٍ مرقع يلبسه الزُّهَّاد والشحاذون .
(٣) ويمر : مدينة في ألمانيا ، أقام فيها الشاعر غوته كثيراً ومات ودفن فيها .

نَـــوح ليلِـــيَ القلـــق ... والهمـــوم فـــي الفلـــق
والأنيـــنُ مِـــنْ شَـــرَر ... والقـــريـــض مـــنْ حَـــرَق
أيـــن حـــرص مجتهـــد ... مِـــن تضـــرُّم العشـــق
ذاك فـــأس فـــرهـــاد ... ذاك خُســـر فـــي مـــذق[1]
قُـــل لســـاكنـــي حجـــب ... عـــنْ تـــرابـــي القلـــق :
ذا الغُبـــارُ ذو نظـــر ... ذا التـــرابُ ذو فلـــق
مطـــربتـــي تسكـــرنـــي ... وتـــزيـــد فـــي حُـــرقـــي
نغمـــاتُ مستحـــر ... بـــالقلـــوب ذي علـــق
مِـــنْ حـــذاره أرضُ سمـــر ... فنـــدبـــت فـــي فـــرق
مـــن هجـــوم جنگيـــز ... أو هـــلاكـــو فـــي الحلُـــق[2]
هـــات مطـــربـــي غـــزلًا ... نظـــم مـــرشـــدي اللبـــق
لأفـــوزَ مـــن لهـــب ... التبـــريـــزي بـــالحـــرق

* * *

مُنيتـــي أن يتجلَّـــى ... ذلـــك البـــدرُ التَّمـــامُ
فيـــدي تُمْســـكُ صـــدري ... وبعينـــيَّ اقتحـــامُ
ويقـــول الحســـن : صبحـــي ... ليـــس يغشـــاه ظـــلام
فيقـــولُ العشـــق : وجـــدي ... ليـــس يخبـــو والهيـــام
ليـــس مـــن يـــومـــي وأمســـي ... وغـــدي فـــيَّ زمـــام
ليـــس لـــي نَجْـــدٌ وغـــورٌ ... ليـــس يحـــويـــنـــي مقـــام

---

(١) فرهاد : المهندس ، وخسرو برويز : ملك الفرس ، وكان وعد فرهاد أن يهب له معشوقته « شيرين » إذا شق طريقاً في الجبل ، ففعل ولم يظفر بأمنيته ، فضرب فرهاد مثلاً في العشق الخائب .

(٢) أشار الشاعر أكثر من مرة إلى سمرقند وجنكيز كأنه يُشير إلى ما أصاب المسلمين من هذه النواحي .

خمـــرة الأســـرار أبغـــي وكـــؤوســـاً لا تـــرام
وبحـــانـــات مجـــوس دائـــر عنـــدي جـــام[1]
لا تقُـــلْ : مـــالـــي ولحنـــاً لا يـــرى فيـــه انسجـــام
فـــأنـــا طـــائـــر غيـــبٍ عـــن حبيبـــي لـــي كـــلام
أرفـــع الستـــر وأشـــدو لـــي فـــي اللَّحـــن مقـــام[2]
أنـــا صمصـــام دمـــاءٍ لـــي بـــالغمـــد كَعـــام[3]

* * *

غُصْـــنُ الحيـــاة نـــديٌّ مـــن ظمئنـــا فـــي الطِّـــلاب
عيـــن الحيـــاة أراهـــا تعلُّـــه الهيّـــاب[4]
فَمـــنْ أبـــثُّ حـــديثـــي وأيـــن أزجـــي ركـــابـــي ؟
ولا تـــؤثـــر آهـــي ونظـــرتـــي فـــي حجـــاب
فـــزَمـــزِمـــنْ فـــي غنـــاء واخفـــض نـــواح الـــرَّبـــاب[5]
فـــلا تـــزالُ طيـــورٌ تنـــوح تحـــت نقـــاب
أهـــل الحجـــاز تـــولـــوا قـــوافلـــي بســـلاب
حبيبنـــا عـــربـــيٌّ فـــلا تفـــه بعتـــاب
وزن عُجـــم وهنـــد لا تبـــغ وزن خطـــابـــي

---

(١) المجوس في الشعر الفارسي كالنصارى في الشعر العربي ، يذكر الشعراء خمرهم وحاناتهم .

(٢) من مقامات الموسيقا .

(٣) الكعام : هو الكمام للجمل ، الّذي يخشى صياله ـ وبالفتح جمع كعم ، وهو وعاء السِّلاح ـ .

(٤) عين الحياة في الأساطير : عين من شرب منها لا يموت ، وقد شرب منها الخضر ، والشاعر يقول : « إن الحياة هي عطشنا في الكفاح لا ورود عين الحياة » .

(٥) الزمزمة : كلام خفي .

فأصل هذي اللآلي ... بالليل دمع انتحابي
هلُمَّ فالرَّاحُ عندي ... من دنَّ عالي الجناب[1]
وخمرة القول أصبى ... من خمرة الأعناب

* * *

من كرى الموت لا تفيقُ عيونٌ ... دون نور تفيضُه منْ سناكا
إنَّ من دونك الوجودُ محال ... ومحالٌ فناؤنا في جسماكا
قد حوى الكون قلبنا وهو فيه ... عقدةٌ لا تحلُّ فاكظم فاكا
نغماتي الضعاف أحرقن صحبي ... حرقتي نغمةٌ أبت أن تحاكا[2]
إنْ تضنّ الصبا بطلٍّ فدعها ... نار قلب الشقيق تأبى فكاكا[3]
فإلى الحق وجّه القلب واصبر ... لا تؤمل بغيره إدراكا
سُدَّة الوُثْنِ هذه وعليها[4] ... جبهات الأباة تأبى حِكاكا

* * *

كتب إلى أحد الصُّوفيَّة[5]

لهيب الوجد من أسماء لا عندي ولا عندك
وحرُّ القلب في البيداء ، لا عندي ولا عندك

---

(١) جلال الدين الرومي .
(٢) أبت أن تنسج ، يعني : لا يستطاع إظهارها .
(٣) يتخيَّل الشاعر أنَّ الطلَّ يخفف من حرقة الشقائق الملتهبة ، يقول لا نبالي إن لم يسقط الطل فهذه النار لا تفارقنا بأيَّة حال .
(٤) الوثن : جمع وثن .
(٥) في هذه الأبيات مثالان من الشعر الفارسي ، الأول أن وزن الهزج فيه مفاعيلن ثماني مرات وهو في العربية لا يزيد على أربع ، والثاني القافية المردوفة والردف هنا « لا عندي ولا عندك » والروي الهمزة الممدودة قبلها .

وشيخ أنت في حان وإني ناشيء ساق
عطاش نطلب الصهباء لا عندي ولا عندك
رهناً قلبنا والدِّين حبُّ الغيد من عُجم
ونارُ الشوق من ظمياء ، لا عندي ولا عندك
حطام كان أصدافاً على شطٍّ لقطناها
فقدنا الدُّرَّة البيضاء ، لا عندي ولا عندك
وبلوى يوسف المفقود من يطيع ذكراها
وخفق القلب في زلخاء[1] ، لا عندي ولا عندك
كفانا النُّورُ في المصباح قد أخفتْه أستارُ
فطوق النُّور في سيناء ، لا عندي ولا عندك[2]

***

قلبُنا كونٌ ولكن ما به دور القمر
دورانٌ ليس فيه من عشيٍّ أو بُكر
ويل ركبٍ قد أسفّ العزمُ فيه وضمر
فهو يرتاد طريقاً ليس فيها منْ خطر
فدع العقل وموج العشق صارع لا تقر
فبذاك النهر ضيق ليس فيه من دُرر
كلُّ ما يجري خيالُك أو خيالي في الأثر
هو في العين ولكن مُستسرٌّ كالنَّظر

***

غير مجدٍ بكاؤنا ويلتا ! ضاعَ ذا النغم

---

(١) زلخاء : زليخاء عاشقة يوسف الصِّديق عليه الصلاة والسلام .
(٢) الطوق : الطاقة .

نَـــوح قلـــبٍ ممـــزقٍ حـــاصـــلُ الغـــمِّ والألـــم
خفـــق القلـــب ســـاعيـــاً يخلـــق الـــدَّيـــر والحـــرم
هـــو فينـــا محـــدِّقٌ نحـــن فيـــه علـــى قـــدم
نبـــذ الستـــر أهلـــه لُـــذت بـــالنفـــس فـــي حـــرم[1]
غيـــرة العشـــق فـــانظـــرن ! أيُّنـــا شـــوقـــه احتـــدم ؟
مطـــربُ ألحـــان فـــي الـــدُّجـــى قـــد شـــدا معجـــب الحكـــم
ذوق راحٍ محـــــــــرَّم شـــــربُ راحٍ لنـــــا أمـــــم
هـــي مسيـــر حيـــاتنـــا مـــا ســـوى السيـــر يُغتنـــم
ليـــس للمـــوج منـــزل أو طـــريـــقٌ إذا التطـــم
أشعـــلِ النَّـــار فـــي هشيمـــي مـــن قـــال فـــي القـــدم :
« منـــزل الكبـــريـــاء لـــي » مـــرشـــد الـــرُّوم[2] ذا العلـــم

* * *

أبـــدِ مـــن طينـــك نـــاراً تُضمـــر لا تحـــلَّ بعـــد هـــذا يُقـــدَر
مُلـك جـمٌ « لنظيـري »[3] مصـرع : « ليـس مـن قـومـي مـن لا يُنحـر »
ســـاحـــر العقـــل يعبِّـــي جنـــده لا تُـــرع للعشـــق جنـــد ينصـــر
بمقـــامٍ ولحـــونٍ لـــم تُحِـــط عُـــود سَلمـــى كـــلُّ حيـــنٍ يَقطـــر
نظـري فـي النَّفـس أحكمـتُ فلـم يتـــوجَّـــه لســـواهـــا النظـــرُ
فتَجلَّـى الحـبُّ فـي كـل الـدُّنـى وأنـــا فـــي شُغُـــلٍ لا أنظـــر

---

(١) أهل السر الّذين في عالم الغيب والشاعر على مذهبه في الذاتية ، يقول : إنَّه لم يُبال بالنظر إلى عالم الغيب بل نظر إلى نفسه ، وإنَّ عشقه الغيور لم يتجه إلى غيره بل غيره نظر إليه .

(٢) مرشد الرُّوم ، يراد به جلال الدين الرُّومي .

(٣) نظيري النيسابوري ، أحد الشعراء الفارسيين الكبار ، هو وجمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية .

ما جنونُ العِشْق في البيداء سدًى ... في قرى الحسن تعالوا نجأر[1]
وبصيد الوحش في البحر اهتفنْ ... لا تقلْ : زورقنا لا يُبحر
ملء عيني دليل ما مضى ... في طريقٍ ليس فيها خطر
اصبحنْ شُرباً خليعاً واحْذَرَنْ ... عهد شيخٍ ليس فيه ذأر[2]
غايةُ الإفصاحِ لمحٌ وكُنى ... فلُغى الخلوة رمز يُعبر[3]

***

تضيقُ بدار أصنام ... ولا ترضى بمحراب
ولكن نحو مشتاقٍ ... تسيرُ بشوقِ أصحاب
فاقدِم واتخذ مغنا ... كَ في أرواحِ أحباب
وكيف وأنت ربُّ الدَّا ... ر تدخل خطو مرتاب ؟
تُغير على ذوي التسبيح ... تحمل كلَّ أسلاب
وتطرق أهل زنَّار ... بليلٍ فعل نهاب
وذو جحفل لجب ... لسفك دماء أصحاب
وطوراً في جماعات ... بكاساتٍ وأكواب
وتأتي باللهيب إلى ... كليم غير هيَّاب[4]
وتأتي كالفراش إلى ... يتيمِ شمعُه كابي[5]
فيا إقبال خذ كأساً ... بخمر « الذَّات » لهَّاب

---

(١) لعل الشاعر يُشير إلى مجنون ليلى وهيامه في البيد ، ويعني أن هذا الهيام في فضاء الطبيعة لا بد أن ينتهي إلى صلاح الجماعات في القرى .
(٢) الذأر : الشرة وحدة الخلق .
(٣) يعبر : كتعبير الرؤيا .
(٤) إشارة إلى النَّار التي لاحت لموسى عليه الصلاة والسلام .
(٥) إشارة إلى اصطفاء الرسول ﷺ .

سفـــاك الغـــربُ مـــن كـــامـــنٍ لنفســـــك منـــــك ســـــلاَّب

* * *

لـــذعـــاتُ حـــان العُجـــم ليســـت كُـــفـــءَ نـــاري الحـــاميـــه
ذا أحمـــــد العـــــربـــــيُّ نَظْـ ـــرَتُـــهُ تحيـــط جهـــاتيـــه
مـــا حيلتـــي والعقـــلُ فـــي عُقـــدٍ لـــه متـــواليـــه
نظـــراتُ عينـــكَ ، فـــانظـــرنْ حلَّـــت طلســـم مجـــازيـــه
حِيَـــلُ العقـــول تفـــوقهـــا خفقـــات قلبـــي الـــداميـــه
فـــاهجـــر كنيـــس تفلســـفٍ لحـــريـــمِ نـــاري الحـــاميـــه

* * *

أنت كالمرآة تفنى في جمال الآخرين فاغسلَنْ قلباً وعيناً من خيال الآخرين
من نواح الطَّير في الأحرام فاقبسْ واحرقنَّ[1] ذلك العشَّ الذي شُدْتَ بمال الآخرين
وتعلَّم جاهداً خفقَ جناحيك وطرْ أنت لا تسطيع طيراً بجبال الآخرين
أنا حرٌّ وغيورٌ مسرفٌ في غيرتي ممكن قتلي بكأس من زلالِ الآخرين
إيهٍ يا أقربَ من روحي ولا أبصره عندنا هجرُك أحلى منْ وصالِ الآخرين[2]

* * *

عندليبُ الرَّبيع جُنَّ غناءَ وعروسُ الشَّقيق تُزهى بهاءَ
لا مغنّ ولا مزاهرُ فيه ذاك لحنٌ من المغيَّب جاء
محرم السرَّ من يسدد ضرباً في وتار الحياة أيان شاء[3]

---

(١) الأحرام : جمع حرم .

(٢) وهذه قطعة أُخرى بنيت على الرمل المثمن ـ والرمل في الشعر العربي لا يزيد على ست تفعيلات والقافية فيها مردوفة بكلمة الآخرين ، والروي اللام التي قبل الرديف ـ .

(٣) الوتار : جمع وتر .

مـــن وراء الستـــور أنبئـــت ســـراً ... لست أفشي ، فالدهر لعباً أساء[1]
لا تعنِّـــفْ وخـــذْ سبيـــل ودادٍ ... قـــدَّر اللهُ فـــي الحيـــاة التقـــاء
أيـــن فـــي دارة التـــراب مقـــامٌ ؟ ... كـل شـيءٍ كـالـرَّمـل يمضـي هبـاء
زهـرةٌ مـن ريـاض كشمير جسمي ... وبـــأرض الحجـــاز قلبـــي أضـــاء
وأغـــانـــيَّ واللحـــونُ نمتْهـــا ... أرضُ شيـراز ، حـبَّ ذاك انتمـاء

* * *

نحـن تـربٌ ، وكـالنجـوم سفـارا ... مـن خضـمِّ الـزرقـاء نبغـي قـرارا
نحـن مـن شعلـة الحيـاة جميعـاً ... لـذَّة « الـذَّات » فـرَّقتنـا شـرارا[2]
قـلْ لأهـلِ السَّمـاء : إن تـرابـاً ... نـال بـالعقـل فـي السمـاء مطـارا
نحـنُ فـي العشـق زهـرةٌ فـي نسيمٍ ... وبكـــدِّ الحيـــاة نقـــدح نـــارا
نحـن فـي المـرج نـرجسٌ نـاظـرات ... كلُّنـــا أعيـــنٌ فـــألـــق الستـــارا

* * *

ليـــردَّ العُـــرب دمعـــي داميـــاً ... روضـــة تنبـــت ورداً وشقيقـــا
وليـــردَّ العُجـــم أنفـــاســـي وقـــد ... صـوَّحـت جنـاتهـم ، روضـاً أنيقـا
مـــن حيـــاةٍ وخلـــودٍ كـــدحُنـــا ... يـا تـرابـي ! فلتكـن قلبـاً خفـوقـا
صحـــب الله فـــؤادي هـــائمـــاً ... سـار لا يـرضـى مقـامـاً أو طـريقـا
صـــوَّر اليـــأس علـــى آفـــاقنـــا ... عقلُنـا اليـائـسُ فـاحـذره رفيقـا
وبعـــودٍ قطِّعـــت أوتـــارُه ... قـد حبـا قلبـاً إلـى اللَّحـن مشـوقـا
أنـــت نـــشء وكـــلامـــي شُعَـــل ... عـلَّ شـدوي مضـرمٌ فيـك حـريقـا
ليـــس فـــي قلبـــي إلا أن أرى ... قطـرةً فيـك غـدت بحـراً عميقـا

---

(١) إشارة إلى الألعاب من وراء الستار كالَّذي يسمَّى خيال الظلِّ .
(٢) يعني : لذة الاستقلال والوحدة كما يرى الشاعر في فلسفة « الذات » .

لا عـــرا الـــرُّوح هـــدوء ولتكـــن بحيـــاة الكـــدِّ والكَـــدْح خليقـــا

* * *

لا التَّـــاج يـــزهـــو عليـــه ولا سنـــا الـــزِّينـــات
فقيـــرٌ حيُّـــك ، لكـــن مـــن الملـــوك الأبـــاة
فـــي الشيـــب مـــاتـــت قلـــوبٌ وفتيـــةٌ فـــي سُبـــات
فمـــا لصـــدرٍ نصيـــبٌ فـــي الفجـــر مـــن آهـــات
لا تقعـــدنْ عـــن طِـــلابٍ فـــي واسِـــعِ الفلـــوات
فمـــا بعصـــرك هـــذا هـــادٍ إلـــى الطُّـــرقـــات
غَفِلْـــتَ عـــن سـرٍّ وقـــتٍ أضعتـــه فـــي شتـــات
وقـــتٌ عـــداه حســـابٌ بـــالشَّهـــرِ والسَّنـــوات
هـــذا الـــرِّبـــاط قـــديـــم مـــا فيـــه عيـــش مـــواتـــي
غَفِلْـــتَ عـــن ســـرِّ عيـــشٍ وعـــن جهـــادِ الحيـــاة
مـــاذا يخـــطُّ مـــن الـــذنـــب كـــاتبـــا الهفـــوات
دنيـــاكَ مـــا قـــد أصبنـــا فيهـــا ســـوى نظـــراتِ
إقبـــالًا الحـــرَّ أمســـك بـــذيلـــه فـــي ثبـــات
فمـــا يـــرى فـــي ربـــاط مـــن بـــائعـــي الخـــرقـــات

* * *

عشقـــي الجـــريء صـــدرُه سعيـــرُ وحكمتـــي عـــن شـــرر تخـــور
إنْ يكمـــل الهيـــامُ صـــار ذلًّا قيـــسٌ بـ « ليلـى » عنـدنـا شهيـر
إليـــك جئـــت فـــي سجـــود وجـــدٍ سيمـــاه فـــوق جبهتـــي تفـــور
هـــب سيـف « لا » لكـافـري وأبصـر « إلا » ي كيف في الدنى تثور[1]

---

(١) يشير إلى النفي والإثبات في « لا إله إلا الله » يعني : هب لي أنا الكافر توحيداً وانظر فعلي .

لا بـــدَّ مـــن دورٍ يعيـــد أمســـي ... فـــي جلـــوات مـــن غـــدي يسيـــر
نـــورك فيـــه للـــدُّنـــى نصيـــبُ ... « سينـا » ي كيـف فـاتهـا تنـويـر
أحـــدِّث الـــرحمـــن فـــي حجـــابٍ ... وفـــي حمـــاك منطقـــي جهيـــر
أيـــا رســـول الله ! إنَّ ربـــي ... محجَّـــب وأنـــت لـــي ظهـــور

* * *

أسفـي عليـك نحـتَّ أصنـامـاً أخـر ... عوداً ولم تبحثْ بقلبك عن أثر[1]
أسفي عليك صُهرت في نار الفرنـ ... ـجِ ومن لحاظ العين روحك قد قطر[2]
أسفـي عليـك فمـا وُزنـت بنظـرة ... فـي حلَّـة فيهـا التـرابُ لـه قـدَر
أسفـي عليـك قـرأتَ أسفـار العقـو ... ل وما فهمتَ حديثَ وجدٍ يُستطر
أسفـي عليـك تطـوفُ مـن ديـرٍ إلـى ... حـرمٍ وفـي معنـاك لـم تُجِـد النَّظـر

* * *

---

(١) هذه الأبيات مردوفة في الأصل تكرر في أواخرها الكلمة التي ترجمتها « أسفي عليك » ، وقد كررتها في أول كل بيت .

(٢) ذاب في نار الفرنج وأفنى نفسه بالنظر إليهم وتقليدهم .

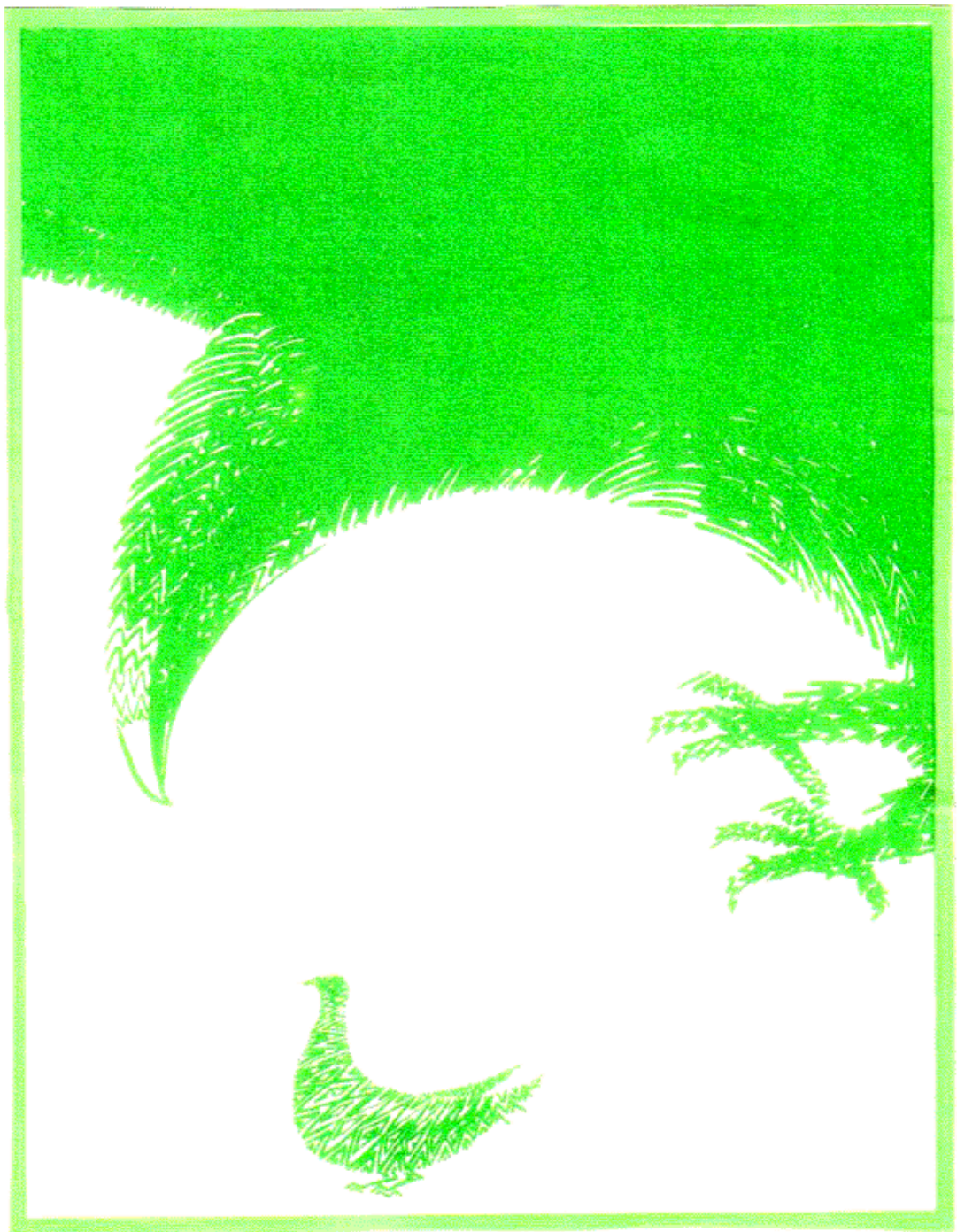

تقدیر کے قاضی کا یہ فتویٰ ہے ازل سے
ہے جرمِ ضعیفی کی سزا مرگِ مفاجات!

القسم الرابع

نقشُ الإفرنج

طرحِ نَو انداز اندر جانِ خویش
تازہ کُن با مُصطفیٰ پیمانِ خویش

نقش الإفرنج

أَبْلغي يا ريحُ عنِّي ... عالمَ الإفرنج جهرا :
إنَّما العقل أسيرٌ ... زادَه التحليقُ أَسرا
يتحدَّى العِشقُ برقاً ... منه هذا العقل فرَّا
سُحِرَ العقلُ ، وكان العِشْقُ ... بالأكباد أدرى
تبصرُ الأعينُ لوناً ... حينما تبصرُ زهرا
ووراء اللَّونِ معنىً ... هو أجلى منه يُدرى
ما عجبنا أنَّ إعجا ... ز مسيحٍ نلت خُبرا[1]
قد عجبنا لمريضٍ ... داؤه عندك أشرى[2]
تجمعُ العلم وتلقي القَلـ ... ـبَ لا ترغبُ فيه
آهِ ذا نقدٌ ثمينٌ ... ضاعَ في كفٍّ سفيه
إنَّما الحكمةُ أمرٌ ... ليس فيه مِنْ نهايه
ليس في كتَّابها للحبِّ ... والعِشقِ بدايه[3]
قطعت سُبل قلوبٍ ... يقظاتٍ بالعمايه
ذاتُ طرفٍ ذي كلامٍ ... هو في الفتنة آيه
ودلالٍ لا ترى فيه ... إلى القلب سرايه

---

(١) الخطاب لعالم الإفرنج .

(٢) شرى الداء : إذا اشتد ، وأشرى للتفضيل ، يعني : أنه كالمسيح في المعجزات ، ولكنَّه لا يشفي .

(٣) أي : ليس في كتابها ألم العشق وحزُّه كما يبرى القلم .

ليس فيها لذةُ الوخـ ـزةِ مِنْ غَمْزِ الرِّعايه
طوت البيد ولم تظـ ـفر بظبيٍ في النهايه
طافت البستان لم تبـ ـلغ من الأزهار غايه
فَهَلُمُّوا نسأل العِشْق سداداً ورَشادا
واقصدوا العِشْقَ سُجودا وابلغوا مِنْهُ مُرادا

***

سلكَ العقلُ طريقاً ذا شعابٍ حين سارا
ملأ العالمَ هرجاً وأصارَ الماءَ نارا
في يديه كمياء ردَّت الرمل نضارا
لم يضَعْ إكسير حبٍّ في قلوبٍ أو أنارا
سحرهُ قد خال فينا فقبلناه جهارا
ذاك قطَّاع طريقٍ قطعَ السُّبل نهارا
فنَّه قد هدّم الأفـ ـرنج والنقعَ أثارا
ثمَّ في مُقلة عيني ذرَّ من ذاك غُبارا
كمْ زرعنا مِنْ شرارٍ وحَصَدْنا مِنْ لهيبِ
كمْ عقدْنا وحلَلْنا عُقداً فوق القلوبِ

***

أينَ مِنْ خفق الشَّواهيـ ـن جناحُ العندليب
أينَ منْ يلقطُ مِنْ حب على الأرضِ تريب
من فتى يلقط عنقو د الثُّريا لا يَخيْب
أينَ منْ يسري بروضٍ كنسيمٍ في هبوب
مَنْ بصير في ضمير الزهـ ـر للسرِّ يصيب
أين فوق الأرض ظنٌّ سارَ أو شكٌّ مريب
من طموحٍ جاوز الأفلا كِ لِلْمَسْرى الرَّحيب

حبَّذا عقلٌ فسيحٌ ... قد أحاطَ العالَمين
نورُ أملاكٍ ونا ... ر الأنسِ فيه دونَ مين
نحنُ مِنْ خلوةِ عِشقٍ ... قد برزنا بالسَّجايا
فجعلنا موطىء الأقـ ... ـدا م في الأرض مَرايا
فانظرنْ همَّتنا كيـ ... ـف لعبنا بالعطايا
قد أضعنا الكونَ جهراً ... حينَ حزناهُ خفايا[1]
قدْ نزلنا شطَّ نهرٍ ... نبصرُ الموج سَرايا
تبصرُ الأعينُ سطراً ... مِنْ غُدُوٍّ وعَشايا
قَلْبُنا بيتُ هذا الدَّير ... لا يبغي سبايا[2]
فرمى النَّارَ برطبٍ ... ويبيسٍ في البرايا
شعلةً كنَّا جميعاً ... وانتشرنا كالشَّررْ
أهلَ شوقٍ وحنينٍ ... ورجاءٍ ونَظَرْ
أصبح العِشْقُ غوياً ... قاطعاً كلَّ وكاء[3]
فتنةٌ للناس فيها ... خَفْقُ حوتٍ في العراء
آثَرَ الحَرْبَ على الخفـ ... ـضِ وعبَّى للقاء
لم يروِّ السَّيفَ إلا ... مِنْ صدورِ الأوفياء
قطع الطُّرق وسمَّى الـ ... ـقَطْعَ حِفْظَ الأمناء
أخذ الدُّفَّ وغنَّى ... راقصاً دونَ حياء
رافعاً في الكفِّ كأساً ... مِنْ دماء الأصفياء
حانَ أنْ نُحدِثَ نهجاً ... ونجدَّ النظرا

---

(١) يعني : استولينا عليه بقوة أرواحنا ، وبذلته أيدينا احتقاراً .
(٢) في الأصل : الدير القديم ، وهو كناية عن الدُّنيا .
(٣) أحسب الشاعر يقصد في هذه الأبيات إلى أنَّ العشقَ ، وهو الوجدان السليم قد صار هوىً وطمعاً ، ففعل ما فعل (المترجم) .

فاغسلنْ لوحَ فؤادٍ ... وأجِدَّ الأسطرا
لحنُ إسكندر ولّى ... وتقضَّى لحنُ دارا
وأتى فرهادُ يبغي ... ملك برويزَ جهارا
يوسفُ فارق سجناً ... وعزيزَ الملك صارا
وخرافاتُ زليخا ... ورُقاها تتوارى
كلُّ سرٍّ كان يخفى ... غشيَ السُّوق نهارا
ومضى حفلُ النُّدامى ... وبريقُ القول بارا
فافتحِ العَيْن وأمعِنْ ... لترى ما لا ترى
إنما تبني الحياةُ اليوم ... كوناً آخرا
أنا في الأرض بصيرٌ ... عارفٌ سرَّ الحياةِ
أبصر الذَّرَّات طراً ... كنجومٍ ناظراتِ
وأرى الحبَّة تحت التُّرب ... من قبل نباتِ
ذاتُ أصلٍ وفروعٍ ... وثمارٍ يانعاتِ
وأرى الأطواد ريشاً ... في رياحٍ قَلِقاتِ
وأرى الرِّيش ثباتاً ... كجبالٍ راسخاتِ
وانقلابٌ ليس يحو ... يه ضميرُ الكائناتِ
قد أراه لستُ أدري ... كيف في العَينِ يواتي
حبَّذا المبصرُ جهراً ... فارساً في ذا القَتَر
ويرى جوهرَ لحنٍ ... في اهتزازٍ بالوتر
بالحياة النَّهْرُ جار ... وسيجري في مضاء
عاتق الرَّاح فتىً ... وسيبقى في فُتاء
كلُّ أهلٍ لوجودٍ ... سوف يحظى بالضِّياء
ووجودٌ غيرُ أهلٍ ... سوف يحويه الفناء
إنَّما العِشْقُ عيونٌ ... ترقبُ الحسن ظماء
ومُنى الحسنِ ظهورٌ ... وسيبدو في جلاء

إنَّ هـــذي الأرض فيهـــا ... لـــي دمـــوعٌ مِـــنْ دمـــاء
سيُـــرى الـــدَّمـــعُ عقيقـــاً ... فـــي حشـــاهـــا ذا بهـــاء
« فـي ظـلام الليـل جـاءتـ ... ـنـي مـن الصُّبـح بِشـاره
أطفـىء الشَّمـع ولاحَـتْ ... لي من الشَّمس أماره »[1]

* * *

جمعية الأمم

بـــؤســـاءُ الأرضِ رامـــوا سُنَنـــاً ... لتزولَ الحَرْبُ في هذي العُصور
وسمعنـــا أنَّ نبَّـــاشـــي قُبـــورِ ... شـــركـــةً شـــادوا لتقسيـمِ القبـور

* * *

شوبنهاوَر ونيتشا[2]

طـــارَ مِـــنْ عُشِّـــه يسيـــرُ بـــروضٍ ... فـــأصـــابتـــه شـــوكـــةٌ مِـــنْ زُهـــور
لعـــن الـــرَّوضَ والـــزَّمـــان ونـــادىٰ ... بثبـــورٍ لنفســـه والطُّيـــور
ورأى وسمـــة الشقـــائـــق جـــوراً ... وطلَسْـم البـرعـوم خَـدعُ خبيـر[3]
قـال ذي الـدَّار شيَّـدْتَ بـاعـوجـاج ... كـلُّ صبـحٍ بهـا إلـى ديجـور
نـاحَ حتَّـى تقـاطـرت نغمـاتٌ ... مـن دمـاءٍ ، بـدمـع عيـنٍ غـزيـر
وشجـا الهـدهـدَ النُّـواحُ فـوافـى ... ينـزع الشَّـوك مـن جنـاحِ الكسيـر

---

(١) هذا البيت يضمن في شعر إقبال وهو لغالب (الشاعر الأردوي المشهور) .

(٢) فيلسوفان ألمانيان معروفان ، الأول متشائم ، والثاني يعجب بالقوة واحتمال الشدائد في هذه الحياة .

(٣) في الشقيقة سواد يجعلها الشُّعراء وسمة من الحرقة . وطلسم البرعوم يريد به انطباقه وانبهاعه كالطلسم .

قال : أخرج من كل خسرك ربحاً ... مـــزَّق الـــوردُ صَـــدْرَه للعبيـــر
واجعـل الجُـرْحَ بَلسمـاً فسترضـى ... واثْلَـفِ الشَّـوكَ تغـدُ كلُّـك روضـا

* * *

الفلسفة والسياسة

لا تقيســـوا فلسفيـــاً بـــارعـــاً ... بسيـاسـيٍّ وبـالعـدل احكمـوا
ذاكَ عيـنٌ جهـرت فـي شمسهـا[1] ... وجمـــودُ عيـــنٍ ذا لا تَـــرْحـــم
ذاكَ فـــي الحـــقِّ دليـــلٌ واهـــنٌ ... ذا لـدى البـاطـل قـولٌ مُحْكَـمُ

* * *

نيتشا

ثـارَ مِـنْ ضعـفِ الأنـاسـيِّ قلبـه ... فبـــرى الخلـــق المكمـــل لُبُّـــه
فتنـة فـي الغـرب مـن ذي جنـون ... كـان فـي دار الـزُّجـاجـيِّ ضـربـه

* * *

بايرُن[2]

قطـراتٌ رشحـتْ مـن كـأسـه ... شعلـةٌ تنمـو كـورْدٍ وشقيـق
ذو رســالاتٍ بهـا حـرُّ الجـوى ... فـرسـولُ الحـبِّ منهـا فـي حـريـق
ضـاق بـالإفـرنـج بـرداً طبعـه ... فهـو فـي الأوطـان فـي غـمٍّ وضيـق

---

(١) جهرت العين : لم تبصر في الشمس .
(٢) الشاعر الإنكليزي المعروف فارق وطنه إلى بلاد اليونان لنصرة الثائرين بها ، ومات هناك .

وخيـــالٍ كـــم بنـــى مِـــنْ ملعـــبٍ فيـــه للحـــورِ مـــراحٌ وبـــريـــق
جَلـــواتٌ للشَّبـــاب ائتلقـــتْ فهـــو فـــي الغَشْيَـــةِ منهـــا لا يفيـــق
طـــائـــرٌ فـــارق عشَّـــاً ورأى حِلَـــق الشُّبَّـــاك[1] أولـــى بـــالحلـــوق

* * *

جلال وهيگل[2]

ليلـــةَ بـــتُّ أعـــانـــي حلَّهـــا مشكـــلاتٍ لحكيـــم الألمـــانِ
ذاكَ مَـــنْ أبـــرز فـــي إبـــداعـــه أبـــديُّ الكـــونِ مـــن ستـــر لآنـــي[3]
يخجـــلُ العـــالـــم مـــن أفكـــاره شـــاكيـــاً ضيـــقَ زمـــانٍ ومكـــانِ
ســـرتُ فـــي بحـــرٍ لـــه فـــالتطمَـــتْ سفـــنُ العقـــل بمـــوجِ الطُّـــوفـــانِ
نفـــثَ النَّـــومَ بعينـــي سحـــرُه فحمـــانـــي فكـــرَ بـــاقٍ أو فـــانـــي
وأحـــدَّ الشَّـــوْقَ طـــرفـــي فـــإذا نـــور وجـــهٍ لحكيـــم رحمـــانـــي
إنـــه الشَّمـــسُ تجلَّـــت فـــي الضحـــى كـــلُّ أفـــقٍ بسنـــاهـــا نـــورانـــي
نـــورُه فـــي مظلـــمِ الأفـــق ســـرى كمنـــارٍ فـــي طـــريـــقِ الـــرُّكبـــان
تنبـــتُ الأفكـــار فـــي ألفـــاظـــه مثـــلَ مـــا ينمـــو شقيـــقُ النُّعمـــان
قـــال : قـــم يـــا أيهـــا النـــائـــمُ ! هـــل تمخـــرُ السُّفـــن ســـرابَ القيعـــان
« في طريقِ العِشْقِ بالعقل يُسار ؟ بســـراجٍ تبتغـــي شمـــسَ النَّهـــار »[4]

* * *

---

(١) الشباك : الشبكة .
(٢) جلال الدين الرومي ، وهيگل الفيلسوف الألماني .
(٣) يريد أنه أدرك من الشيء المؤقت حقائق أبدية ، والآني نسبة إلى الآن .
(٤) البيت الأخير للرومي .

بتوفى

(شاعرٌ مجري قُتِلَ شاباً في الدِّفاع عن وطنه ، ولم يعثر على بدنه لتبقى له ذكرى أرضية)

لعروسِ الرِّياض غَنَّيتَ حيناً ... زدتَ قلباً جوىً وأسليتَ قلبا
وخضَّبْتَ الشقيق من دمك المسفوك ... وجْداً وجلّ ذلك خضبا
كم بآهِ الصَّباح في المرجِ يسري ، ... في صدور الأكمام فتَحْتَ قلبا
نغماتٌ من الجوى ذبت فيها ... في « مزار » القريض تُدفن حبا
وإلى التربِ لم تعد بمماتٍ ... ذاك حقٌّ فليس أصلك تربا

* * *

جلال وجوته[1]

شاعر الألمان في رَوْضِ إرم[2] ... فاز بالصحبة من شيخ العجم
شاعرٌ يشبه ذا العالي الجناب ... ما نبياً كان لكن ذو كتاب[3]
قصَّ للعارفِ بالسرِّ القديم ... ما وعى إبليسُ والشيخُ الحكيم
فأجابَ الشَّيْخ : يا رب العلاء ... أنت صيادٌ ولكن في السماء
قد خلا فكركَ في القلب السليم ... فأجدَّ الرُّوح في الكون القديم
فرأيتُ الدرَّ في قاع البحار ... ودبيبَ الرُّوحِ منْ خلف الستار

---

(١) شاعر الألمان جوته صاحب القصة المعروفة فوست . وفي هذه القصة يبين الشاعر درجات تطور الإنسان في إطارٍ من روايةٍ قديمة عن العهد الذي كان بين الحكيم فوست والشيطان ، وقد بلغ فيها الفنُّ درجةً لا يدركها الخيال .

(٢) يقصد الشاعر بإرم الجنة .

(٣) شيخ العجم : جلال الدين الرومي ، والبيت الثاني من قول الجامي عن الرُّومي : ماذا أقول في هذا العالي الجناب ـ لم يكن « نبياً » ولكن له كتاب ـ .

ليس كلٌّ قد تجلَّى العِشْقُ له ... ليس كلٌّ أهل هذي المنزله
« قد تجلَّى لسعيدٍ ألمعيٍّ ... مكرُ إبليس وعشقُ الآدمي »[1]

* * *

رسالة برگسون[2]

إذا ما شئت أن تحظى بسرٍّ ... تبوح له الحياة لمستجيب
فلا تبعدْ بنفسِكَ عن لظاها ... كما جَفِلَ الشَّرارُ عن اللهيب
ولا تصحَبْ سوى نظرٍ عريف ... ولا تمرر بأرْضِك كالغريب
وما صورتُه وهمٌ فأعدد ... لعقلٍ شبَّ في أدب القلوب

* * *

حانة الفرنج[3]

عهدُ حاناتِ فرنجٍ ... ذكَّرني يا خليلي !
رَبَّتِ الخمرةُ فيها ... عينَ خمَّارٍ جميلِ
نظرة الساقي رسالا ... تٌ لشرَّاب الشَّمول
عقلُها الخاتر غاز ... عشقَها كلَّ سبيل
جوُّها ما أَشْعَلَتْه ... نارُ آهاتِ الحيارى
ليس فيها مِنْ خليعٍ ... فيه ترنيحُ السُّكارى

* * *

---

(١) البيت الأخير لجلال الدين الرومي .
(٢) فيلسوف فرنسي .
(٣) يقصد الشاعر في هذه الأبيات إلى ما يعوز الإفرنج من الإيمان وحرارة الوجدان .

حكماء[1]

لوك[2]

فارغُ الكأس أتى الروضَ شقيقٌ[3] يملأ الأكواب من شمس الضُّحى

كنت[4]

فطرةٌ ضاءت شراباً ولها نجم كأسٍ من حريم الأزل

برگسون

ما له مِنْ أزلٍ خمرٌ وكاس ناره مِنْ حرقة القلب الشَّقيقْ

* * *

شعراء

برونگ[5]

ليس في كاس الحياة البرد نارٌ فبماء الخضر كأسي أملأ[6]

بايرن

منةٌ للخضر لا تلهبُ صدري فبماء القلب كأسي أملأ

---

(١) صوَّر الشاعر كلاً من هؤلاء الفلاسفة ببيت . وهذه الكنايات لا يدركها إدراكاً تاماً إلا من عرف هؤلاء الفلاسفة ، وعرف خصائص كلٍّ منهم .

(٢) فيلسوف إنكليزي .

(٣) شقائق النعمان .

(٤) فيلسوف ألماني .

(٥) شاعر إنكليزي .

(٦) ماء الخضر : عين الحياة التي شرب منها الخضر ، فخلد ، وحرمها إسكندر .

غالب[1]

لأزيـد الخمـرَ والصَّـدر لهيبـاً أصهَـر الـدَّنَّ وكـأسـي أمـلأ

جلال الدِّين الرومي

أيـن مـزجٌ مِـنْ سنـا جـوهـرِهـا مِـنْ عـروقِ الكَـرْمِ كـأسـي أمـلأ

حانات الفرنج

أمسِ فـي حـانـة الفـرنجـة وهْنـاً راعني قـولُ مـاجـنٍ ذي خـلاعـه
قـال : ليسـت كنيسـةً تغشـاهـا فـي دُمـىً للغنـاءِ تبغـي سمـاعـه
إنَّهـا حـانـةُ الفـرنـج وفيهـا كـلُّ مـا ذمَّـه البـريـةُ طـاعـه
قـد وزنـا الأعمـالَ فيهـا بـوزنٍ غيـر مـا حسَّـن الأنـامُ اصطنـاعـه
لا تـزنْ وزنَ أمَّـةٍ ذات ديـنٍ ربُّ ميـزانهـم فحـاذرْ متـاعـه
كـلُّ قبـحٍ يـزيـدُ جاهـك ، حسـنٌ كـلُّ حسـنٍ يضـرُّه فهـو شنـاعـه
إنْ تفكَّـرت فـالحيـاةُ ريـاءٌ وبهـا الصِّـدقُ قـولـةٌ خـدَّاعـه
إنَّمـا الصِّـدق والـوفـاء حجـابٌ يُحـرم السَّـاعـي الغـريـرُ ارتفـاعـه
شيخنـا قـال : مـوِّهـنْ كـلَّ صُفـر بنضـارٍ وزيِّفَـنْ كـلَّ سـاعـه
ذاك سـرُّ الحيـاه لا تفشينـه تـربحـنْ فـي يـديـك كـلَّ بضـاعـه

* * *

---

(١) أسد الله غالب شاعر بالفارسية والأردية ، يُعتبر شعره حجة باللغة الأردوية ، توفي سنة ١٨٦٨م وهذا البيت لغالب نفسه .

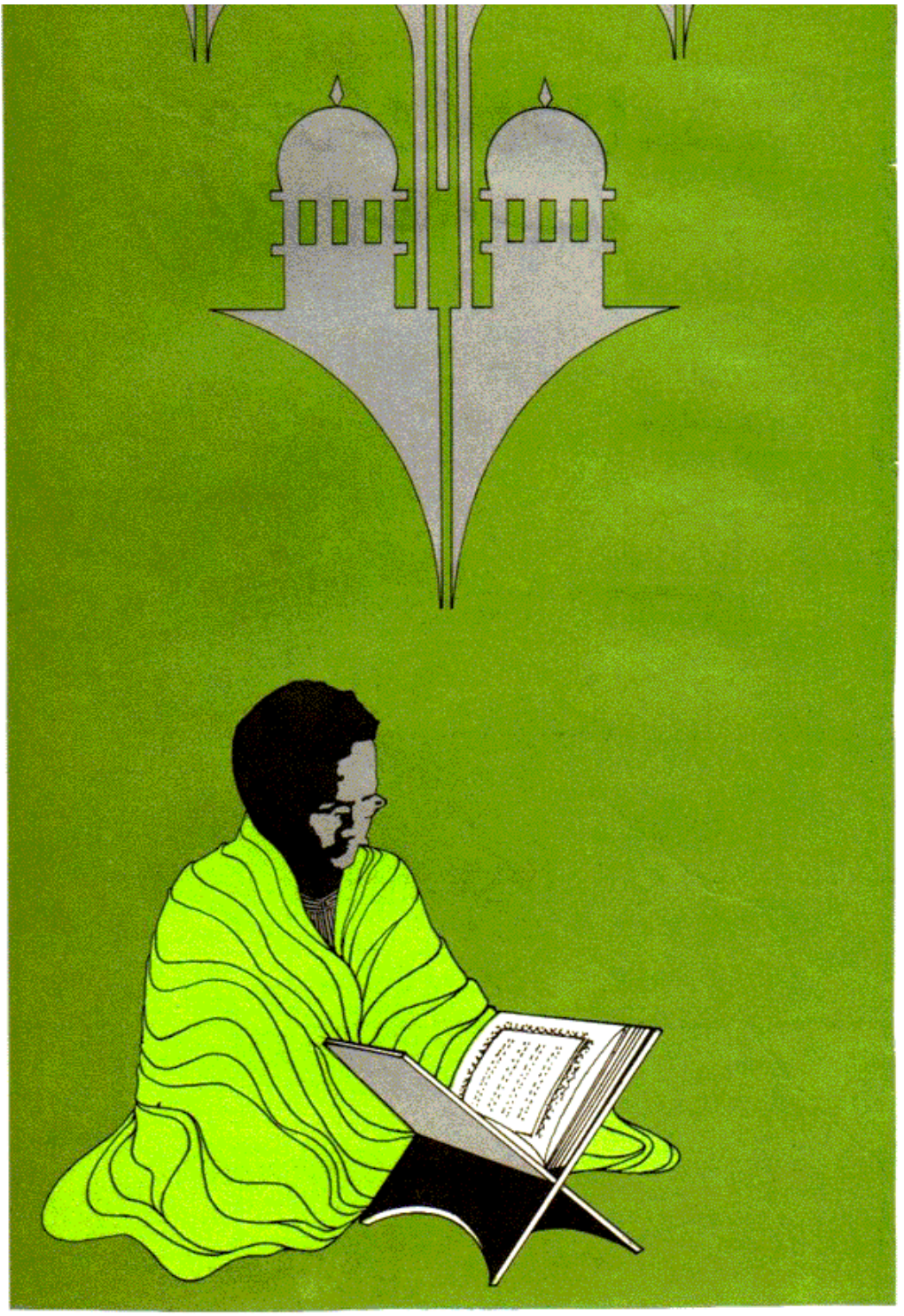

عناصر اس کے ہیں رُوح القُدس کا ذوقِ جمال
عجم کا حُسنِ طبیعت ، عرب کا سوزِ دروں

القسم الخامس

رقَائِق

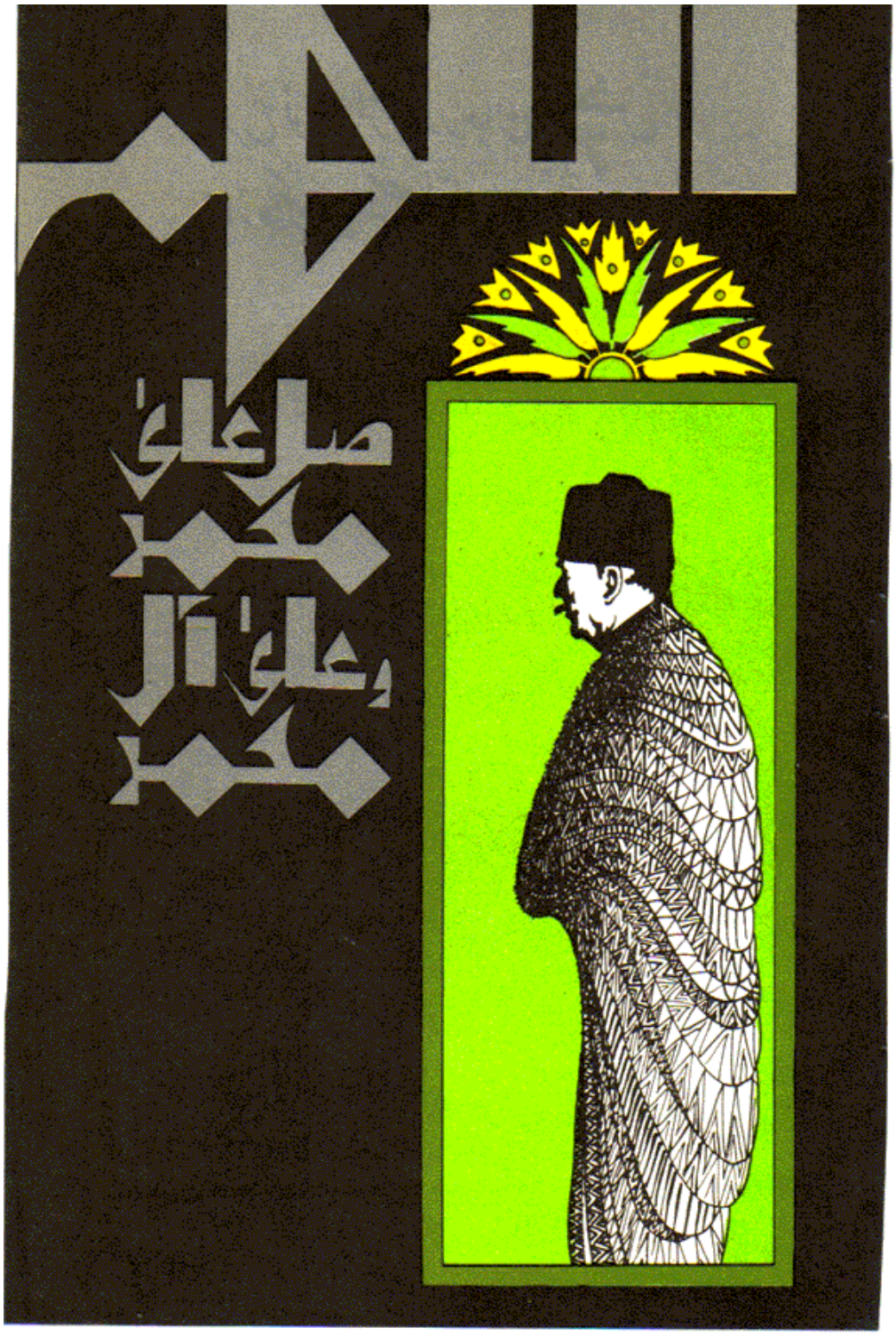

طرحِ نَو انداز اندر جانِ خویش
تازہ کُن با مُصطفیٰ پیمانِ خویش

رقَائِق

ذرَّاتُنـــا ثـــورةٌ تهـــدُر بـــأنفـــاسنـــا محشـــرٌ مضمـــرُ
لقـد أفْصَـحَ الخضـر فـي الظُّلمـاتِ علـى حيـنَ صـاحَبَـهُ إسكنـدرُ
عسيـرٌ علـى النَّـاس فَهْـمُ الممـاتِ وفهـــمُ الحيـــاةِ لهـــمْ أعْسَـــرُ

* * *

حبـةُ الـدُّرِّ تعـرفُ البحـرَ لكـنْ أيُّ علـمٍ لهـا بـدورِ الـرَّحـى ؟

* * *

يصـــرُّ اليـــراع لإعـــواز لـــبٍّ[1] فليـس لمـرودِ كحـلِ صـريـر

* * *

طفـتُ بـالبيـتِ حـامـلاً أصنـامـي وأمامَ الأصنامِ « هو » قد جأرتُ[2]
وفـؤادي يسيـرُ خلْـفَ طِـلابٍ فـي طـريـقٍ كشعـرةٍ قـد مَـرَرْتُ
يقولُ ورد روضٍ : عيشُ الرَّبيعِ أحلى وصبحُ مرجٍ عندي منَ الجميعِ أحلى
مـن قبـل جـور كـفّ لـزينـة تقطفني موتٌ بحضنِ نضرٍ من الفروع أحلى[3]

* * *

يـــا صـــاحبـــي ذاك قـــولٌ علـــى الحيـــاة دليـــلُ

---

(١) يعني لأنه فارغ الجوف .
(٢) صاح بلفظ « هو » يريد الله تعالى .
(٣) وهذا مثال آخر من زيادة التفعيلات على المعهود في العربية وفي القافية المردوفة .

النَّـــوم مـــوتٌ خفيـــفٌ والمـــوتُ نـــومٌ ثقيـــلُ

* * *

إنْ تكـــنْ للعفـــوِ لســـت بـــأهـــلٍ فـــإلـى الأعـداء فـاقصـدْ بحقـدك
لا تُقِـمْ فـي الصـدر مصنـعَ حقـدٍ لا تصـبَّ الخـلَّ فـي كـاس شهـدك
دعِ التســـآل عـــن طبـــعٍ دقيـــقٍ يشـــقُّ الشَّعـــر فـــي الليـــل البهيـــمِ
لشـاعـرنـا زجـاجـاتٌ رقـائـقُ تحطمهـــنَّ أنفـــاسُ النَّسيـــمِ
أيبغـي وصـفَ حـربٍ فـي حيـاة « حَبـابٌ ضـاع فـي لـجٍّ عظيـم ؟ »

* * *

امـضِ فـي الـدُّنيـا كنهـرٍ فـي جبـال واعـرف الأغـوارَ فيهـا والنُّجـودا
أو مثـالَ السَّيْـلِ فـاجْـرُفْ كـلَّ شيءٍ لا تبـاليـه هبـوطـاً أو صعـودا

* * *

قطـوفَ الـورد ! لا تجـزعْ لِشَـوْكٍ كـذاك الشَّـوْكُ مـن نَفَـس الـربيـع

* * *

لا تبتـغِ الخضـابَ والتَّلـوينـا لبـسُ الشبـابِ سـرقـةُ السِّنينـا

* * *

رأيـتُ العِشْـقَ يـأبـىٰ كـلَّ وغـدٍ كميـتِ الطَّيـر تـأبـاهُ الصُّقـور

* * *

يبـورُ الشِّعـر فـي الأسـواق نقـداً فـلا خُبـزٌ بفضـةِ يـاسميـن

* * *

انتهى

اللَّمعَات

تیرے در و بام پر وادیٔ ایمن کا نُور
تیرا منارِ بلند جلوہ گہِ جبرئیلؑ

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأتُ هذه المنظومة حينما قرأتُ منظومتَيْ إقبال : « أسرار خودي » ، و« رموز بي خودي » ونشرت الأبيات الأولى منها ، ثم شُغلتُ عن إتمامها ، فلبثتُ أعاودُ النَّظم فيها حيناً بعد حين .

فلما أشرفت ترجمة « پيام مشرق » على النِّهاية عزمتُ على إتمام المنظومة ، فتمَّتْ بحمد الله .

وهي مهداة إلى الشَّاعر العظيم إقبال اعترافاً بفضله .

(عبد الوهاب عزام)

أيُّهـــا اللَّيـــلُ ! إليـــكَ المفـــزعُ ... كـــمْ حَنَـــتْ منـكَ علينـا أضلـعُ ؟
كَـمْ خفينـا فـي غيـابـات الـدُّجى ... ومـــلأنـــا اللَّيـــلَ همَّـــاً وشجـا ؟
كـــم أَلِفْـــتُ الليـــلَ أمّـــاً حـــانيـــة ... وكـــرهـــتُ النَّجـــم عينـــاً رانيـــة ؟
كـــم أَلِفْـــتُ الليـــل وحشـــاً راقبـــا ... مـــن شُعـــاعِ الصُّبـحِ سهمـاً صـائبـا
كـــم بثثـــتُ اللَّيـــل ســـرّاً كتمـــا ... فـــوعـــاهُ الليـــل عنِّـــي ألمـــا ؟
كـــانـــتِ الظَّلمـــاءُ لَـــوْحـــاً لـــلألـــمْ ... خطَّـــتِ الآهـــاتُ فيـــه كـــالقلـــم !
كـــانَ لـــي الليـــلُ مـــداداً فَنَفـــد ... وطغـــى قلبـــي بمـــدٍّ بَعْـــدَ مـــدّ
جـاشـتِ الظَّلمـاء مـوجـاً بعـد مـوج ... وغزاني الوَجْدُ فوجاً بعد فَوْج !
فَنِيَـــتْ هـــذي ، وهـــذا زاخـــرُ ... وانْجَلَـــتْ هـــذي ، وهـــذا غـــامـــرُ
خلتنـــي فـــي الليـــل جمـــراً سعـــرا ... ونجـــومُ اللَّيـــل منـــه شـــررا
إرَّة قَـــدْ وقـــدتْ فـــي أضلعـــي[1] ... وسحـــابٌ هـــاطـــلٌ مـــن أدمعـــي ؟

* * *

كنـــتُ سطـــراً لـــم يُفسِّـــرْهُ أحـــدْ ... خطَّـــهُ فـــي غيبـــهِ اللهُ الصَّمـــد
فـــي ضميـــري كـــلُّ معنـــىً منبهـــم ... حـــرت فـــي الإعـــراب عنـــه بـــالكَلِـــمْ
قـــد ثـــوى العـــالـــمُ فـــي قلبـــي ومـــا ... خُطَّ شيءٌ فيه إلَّا الحرفُ « ما »[2]
جـــلَّ قلبـــي أن أراه جـــام جـــمّ[3] ... صُـــوَرُ الأقطـــارِ فيـــه تنتظـــم
إنَّمـــا الأقطـــار فـــي قلبـــي العميـــد ... أحـــرفٌ أوحـــت إلـــى معنـــىً بعيـــد

---

(١) الإرة : جبل النار .
(٢) يعني : لم يكن العالم في قلبه إلا نفياً .
(٣) جام جم أو كأس جمشيد ، في خرافات الفرس : كأس كانت تُرى فيها الأقاليم السَّبعة .

ربَّ معنىً في ضميرٍ يكتم ... ليس في الناس عليه مَحْرَم[1]
وقلوبٍ رمْسُها هذي الصُّدور ... أتراني مسمعاً من في القبور[2]
أنا في النَّاس فصيحٌ أعجم ... ناطقٌ فيهم كأنِّي أبكم !
صمَّتِ الآذانُ عن هذا البيان ... ضاعَ في ضوضائهم هذا الأذان !
كيف يُجدي القومَ هذا النَّغم ... وعلى الآذان رانَ الصَّمم ؟
كيف يُجدي القَدْحُ في هذا الحجر ؟ ... قلبُه رخوٌ خَلِيٌّ مِنْ شرر
إنَّ خَفْقَ القلب قدحٌ مُجْهِدُ ... بعضُه يوري ، وبعضٌ يَصْلُد
كيف يُجدي النفخُ في هذا الرَّمادْ ... طفىء الجمرُ ولم تورِ الزِّناد !

* * *

يَخْرِقُ اللَّيلَ شعاعٌ يَخْفِقُ ... ثمّ يلتفُّ عليه الغَسَقُ
كمنارِ البحرِ يخفىٰ ويَلُوح ... فيه بين الغيبِ والوَمْضِ وُضوح
أو يراعِ اللَّيل يخفىٰ ويُنير ... فهو سطرٌ منْ غيابٍ وحضور[3]
تارةً يبدو طريقاً لَحِبا ... قامت الأنجمُ فيه نُصبا
أو بياناً من بياضٍ وسوادْ ... كبياضِ الطِّرْسِ يعلوه المِداد
كلُّ لونٍ فيه حرفٌ مُفْصِحُ ... أُلِّفت منه سُطورٌ وضَّح
ورآه تارةً خطاً أجمَ ... وكأنَّ الضَّوءَ تفصيلُ الظُّلَم
فهو سَطْرٌ من ظلامٍ أرقطُ ... أعجمت معناه تلك النُّقطُ
كلُّ لونٍ فيه حرفٌ أعجمُ ... وحوى الأحرفَ سَطْرٌ مظلمُ[4]

---

(١) المَحْرم هنا : الأمين على السر ، كما يؤتمن المحرم من الأقارب على الحرمات .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

(٣) هذا من قول إقبال : أي كرمك شبتاب سرايا تو نوراست برواز توبك سلسله غيب وحضور ست (يا يراعة الليل كلك نور ، وطيرانك سلسلة من الغيبة والحضور) .

(٤) حاصل المعنى في هذه الأبيات : أن النفس تارةً تدرك إدراكاً واضحاً ، وتارةً تُغمُّ عليها الحقائق .

يـا لُبينـى أوقـدي ، طـالَ المـدى ... أوقـدي عـلَّ علـى النَّـار هـدى[1]

أوقـدي يـا لبُـن قـد حـارَ الـدَّليـل ... أوقــدي النَّــارَ لأبنــاءِ السبيــل

ارفعـي النَّـار وأذكـي جمـرهـا ... عـلَّ هـذا الـركـبَ يعشـو شطـرهـا

شـرِّدي هــذا الظـلامَ الجـاثمـا ... أرشـدي هـذا الفـراشَ الهـائمـا

حبَّــذا النــارُ بليــلٍ تــوقــدُ ... حبَّـذا المؤنـسُ هـذا الموقـدُ ؟

حبَّــذا عنــدك هــذا النــزلُ ... لـو حـوانـا فـي سفـارٍ منـزل

مـا لـذا المنـزلِ قـد سار الفـريـق ... إنَّمـا النِّيـران أعـلامُ الطَّـريـق

قـد تـرحَّلنـا مـن الفـجِّ العميـق ... لا نبـالـي بقـريـبٍ أوْ سحيـق

رنَّ فـي آفـاقنـا هـذا النِّـداء ... فـأممنـا البيـت يحـدونـا الرَّجـاء[2]

قـد غنينـا عـن مبيـتٍ ومقيـلْ ... وعـن الأمـواه والظـلِّ الظَّليـل

وعـن الـرَّغبـة والخـوفِ سُـوى ... خُلـع النعـلان فـي وادي طـوى[3]

نحـن لا نـرضـى بنـار الغَسَـق ... نحـن لا نـرضـى بنـور الشَّفَـق

نحـن لا نـرضـى بنجـم الصُّبْـح لاح ... لا ولا نـرضـى تبـاشيـرَ الصَّبـاحْ

نحـن لا نـرضـى نجـومـاً لامعـه ... إنمـا نبغـى شمـوسـاً طـالعـه

قـد رحلنـا بـالجـوى والحُـرقِ ... وغنينـا عـن رسيـم الأينـق

أيـن منـا طـائـراتٌ سبَّـق ... جَمَـعَ الغَـرْبُ لهـا والمشـرقُ

نحـن ركـبٌ فـي جـواه مُـوضـع ... لـم يَسَعْـهُ فـي جـواه مـوضـعُ

كـلُّ حُـرٍّ ضـاق عنـه المـوطـنُ ... وانطـوى دون منـاه الـزَّمـنُ

---

(١) إشارة إلى الآية في قصة موسى : ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طه : ١٠] .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧] .

(٣) النعلان هنا كناية عن الرغبة والخوف والإشارة إلى الآية في قصة موسى : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه : ١٢] .

كـلُّ طيَّـارٍ علـى متـن الفكـر ... وعلـى متـنِ هيـامٍ لا يقـر
طـائـرٌ منـه يغـارُ الملَـك ... طـائـرٌ مـن تحتـه ذا الفلـكُ
بـارقٌ فـي اللَّـوْحِ لا ينطفـئُ ... كـلُّ غـايـاتٍ لـديـه مبـدأُ
زوِّدينـا بهيـامٍ ووجيـب ... زوِّدي يـا لُبـنَ مِـنْ هـذا اللهيـب

***

جـالَ فـي الظلمـاءِ نـورٌ مـن نغَـم ... مُـزِّقـتْ منـه ديـاجيـرُ الظُّلـم
أشعـاعٌ فيـه صـوتُ صـائـحٍ ... أمْ كـلامٌ منـه نـورٌ لائـح ؟
أذنَ الـرَّكـب لهـذا المنشـدِ ... أطـربَ النـاشـدَ صـوتُ المنشـد[1]
سـال فـي القلـب مسيـلَ المطـر ... ينبـتُ الـرُّوح بسهـبٍ مقفـرِ
أو خـريـرِ المـاء مـن نبـعٍ زُلال ... بشَّـر الغـارقَ فـي بحـر الـرِّمـال
رَنَّ فـي نفسـي رنيـنُ الجـرس ... صـاح فـي أذنـي فقيـدٌ مبلـس
طـوتِ البيـداءُ عنـه السَّـابلـهْ ... وهـداهُ الصَّـوْتُ شَطْـرَ القـافلـه
سبـقَ القلـبُ إليـه الأذنـا ... كبـلالٍ لصـلاةٍ أذَّنـا
دارَ قلبـي شطـرَ هـذا المطـربِ ... دورةَ الإبـرة شطـر القُطْـبِ
« غننـي يـا منيتـي ! لحـنَ النُّشـور ... ابـركـي يـا نـاقتـي ! تـمَّ السُّـرور
عُـدْتَ يـا عيـدي إلينـا مـرحبـا ... نِعْمَ ما روَّحتَ يا ريحَ الصَّبا[2] »

***

حبـذا الصَّـوْتُ فَمَـنْ هـذا البشيـر ؟ ... ومـنِ الهـاتـفُ بـالقَلْـبِ الكسيـر ؟
وَمَـنِ المُسْعـدُ فـي هـذي الهمـوم ؟ ... ومَـنِ البـارقُ فـي هـذي الغيـوم ؟
ومـنِ الهـابـط فـي نـورِ السَّمـا ... هـاديـاً فـي الأرض جيـلاً مظلمـا ؟

---

(١) المنشد في الشطر الأول ، منشد الشعر ، وفي الثاني : الذي يدلُّ على الضَّالة ، والناشد : منْ ينشدها .

(٢) جاء هذان البيتان بألفاظهما العربية في مثنوي جلال الدين الرُّومي .

ومـنِ الهـادي إلـى أرض الحبيـب ... يعـرف النهـج وقـد حـارَ اللَّبيـب ؟
ومـنِ السَّـائـقُ شَطْـرَ الحَـرَمِ ... وإلـى الأصنـام سَيْـرَ الأمـمِ ؟
وَمَـنِ القـارىءُ فـي بيـت الصَّنـم ... سـورةَ الإخـلاصِ فـي هـذا النَّغـم ؟
ومَـنِ الحـرُّ الـذي قـد حطمـا ... مـن قيـود الأسـرِ هـذا الأدهمـا ؟
وَمَـنِ الآبـي علـى كـلِّ القيـود ... وَمَـنِ القـاطِـعُ أغـلالَ العبيـد ؟
ومَـنِ البـاعـثُ فـي ميـت الأمـم ... ثـورةَ العـزَّةِ مـن هـذي الهِمـم ؟
لاحَ كـالغُـرَّة فـي هـذا السَّـواد ... بـصَّ كـالجمـرة فـي هـذا الـرَّمـاد
جـرف النَّـاس أتـيٌّ مـزيـد ... ضـلَّ فيـهِ المقتـدي والمـرْشِـدُ
وطغـى اللُّـجَّ عليـه والتطـم ... فـرساً كـالصَّخـر فـي هـذا الخِضَـم
عـارضَ المـوجَ علـى أغمـاره ... وطـوى اللُّـجَّ علـى تيَّـاره
سبـح اللُّـجُّ وبـالشـطِّ استقـر ... داعيـاً والنـاسُ غـرقـى فـي النَّهـر
يجـرفُ التيَّـار جسمـاً جـامـدا ... تَقْـذِفُ اللُّجَّـةُ قلبـاً خـامـدا
إنَّ عـزم الحـرِّ بحـرٌ مُـزْبـدُ ... جـائـشٌ فـي الـدَّهـر لا يَتَّئِـدُ
هـذه الأقـدارُ فـي تسيـارهـا ... هِمـمُ الأحـرارِ فـي أسفـارهـا[1]
ومـنِ الشَّـاعـر يُـذكـي القـافيـه ... فهـي نـورٌ وهـي نـارٌ حـاميـه ؟
تَقْشعـرُّ الأرضُ مـن أوزانـه ... ويهيـمُ النَّجْـمُ مـن ألحـانـه
وكـأنَّ الـدَّهـرَ صـوتٌ كُتِبـا ... قـد حكـاه الشِّعـر لحنـاً مطربـا[2]
هـو بـالأشعـار بحـرٌ فـائـض ... وهـو لـلأزمـان قلـبٌ نـابـض
حـدَّثتـه الأرض عـن أخبـارهـا ... وحَبَتْـهُ الـزُّهـر مـن أسـرارهـا
هـو بـالأمـسِ خبيـرٌ بِغَـدِ ... وهـو اليـومَ نجـيُّ الأبـد
كَشَـفَ اللهُ عـن الغيـبِ لـه ... فلسـانُ الغيـب يُمْلـي قـولـه
عَـرَفَ الشَّـرقَ وراد المغـربـا ... فـانجلـى السِّـرُّ لـه مـا كُـذبـا

---

(١) هذه : مبتدأ ، وهمم : خبر .
(٢) يعني : أنَّ الدَّهر أمام الشَّاعر كعلامات الموسيقا ، والشعر قراءة هذه العلامات .

ـــرأى العلـــمَ سبيـــلاً للـــرَّدى إذ رأى القلـب خليَّـاً مِـنْ هـدى
صوتُ « إقبـال » علـى شـطِّ المـزار أسمـعَ اليقظـان فـي هـذي الـدِّيار

* * *

يُّهـا الـدَّاعـي إلـى سرِّ « خـودي » ليـت أنَّـا بهـداهـا نهتـدي
طـــرةُ الله التـــي أوْدَعهـــا كـلُّ نفـسٍ خـابَ مـنْ ضَيَّعهـا
نهـا سـرُّ الحيـاة الخـالـدة دونهـا كـلُّ حيـاةٍ هـامـدة
نَّهـا التيَّـارُ مثـلَ الكَهْـربـاء إن يُعطَّـلْ لمحـةً كـان الفنـاء
نَّمـا العيـشُ جهـادٌ لا يَقـرّ وركـودُ الحـيِّ مـوت مستمـرّ
ـن يضـيء ذا السرَّ فـي أعمـاقه ضـاقـتِ الأفـلاكُ عـن آفـاقـه
تعـالـى عـن حـدودِ الأزمنـة وتجـافـى عـن قيـود الأمكنـة
ُعـلٌ فـي قـولـه تضطـرم وطمـا فـي القلـب بحـرٌ خضـرم
طلـعٌ فـي اليـأسِ صُبْـحَ الأمـلِ نـافـخٌ فـي المـوت روح العمـل
رأيـت الغيـث فـي أرضٍ مـوات منبتـاً فيهـا أفـانيـن النَّبـات
ـممُ الأحـرارِ تحيـي الـرِّمَمَـا نفخـةُ الأبـرار تحيـي الأممـا
ُ يُصـدُّ الحـرُّ عمَّـا يـامـل أو يحـدُّ البـرُّ فيمـا يفعـل
ـو بـاللهِ العلـيِّ اتصـلا جـلَّ ربـي عـن حـدودٍ وعـلا
ـنْ يُضـيء فـي قلبـه إيمـانُـه وينـرْ فـي سبلـه وجـدانُـه
هـو بـالله علـيٌّ وقـويّ وهـو بـالله غنـيٌّ وولـيّ
ـاهـد واللهُ فـي تيسيـره تحسـبُ الأقـدارَ فـي تقـديـره
ـائـمٌ بـالحـقِّ بيـن البشـر مـا لـه فـي بـاطـلٍ مـنْ وَطَـر
مْسِـك الـدُّنيـا ولا تُمْسِكُـه يملـك الأرضَ ولا تملكـه
ترى الـدُّنيـا انطـوت فـي كسبـه ليـس منهـا ذرةٌ فـي قلبـه
ـه القـانـون بـالله سـرى عـادلاً فـي حكمـه بيـن الـورى
ـعُ النَّـاسَ جميعـاً همُّـه فـي سبيـل اللهِ مـاضٍ عـزمُـه

جـاهـدٌ فـي الخيـرِ لا يتَّئـد ... عـزمُـه فـي صَـدْرِه يتَّقـدُ
وفقيـرٌ وغنـاه لا يُحَـدّ ... فقـره استغنـاؤه عـنْ كـلِّ يـد
هـو بـاللهِ وفـي اللهِ غنـيّ ... ضـاقَ عـن هـذا الغنـى كـلُّ ثـري

* * *

صغار الهمم

إنَّ فـي النـاس قلـوباً جـامـده ... جـذوةُ الإقـدامِ فيهـا خـامـده
همُّهـا مـا يبتغيـه الجسـدُ ... كـلُّ مـا تهـوى طعـامٌ وددُ
حـدَّدَتْ آرابُهـا آفـاقَهـا ... فحكـتْ فـي ضِيقهـا أخـلاقَهـا
لا تبـالـي حيـن تبغـي أربـا ... عُمِـرَ الكـونُ بـهِ أم خَـرِبـا
إنَّمـا قـانـونهـا أهـواؤهـا ... سُخِّـرتْ فـي نفعهـا آراؤهـا
وتـرى أهـواءهـا تغلبُهـا ... كـلَّ حيـنٍ فـي هـوىً يجـذبُهـا
وإلـى الأرض تـراهـا مُخْلِـدَه ... لا تُـرى نحـو المعـالـي مُصْعـده
إنَّمـا آفـاقُهـا هـذا البـدن ... إنَّمـا مَبْـرَكهـا هـذا العَطَـن
إنَّمـا أحيـاؤهـا كـالـرِّمـم ... خـامـداتِ العَـزْم مـوتـى الهِمَـم

* * *

العالمُ مَعْبد

إنَّمـا العـالَـمُ طُـرّاً مَعْبـدُ ... كـلُّ مَـنْ أحسـنَ ، فيـه يَعْبُـد
كـلُّ مَـنْ أدلـى بقـولٍ طيِّـبِ ... ينبـتُ الخيـرَ كغيـثٍ صيِّـبِ
كـلُّ مـنْ أحسـن يـومـاً عمـلا ... كـلُّ مـن أحيـا مـواتـاً همـلا
كـلُّ مـنْ فـي أرضـه قـد زرعـا ... ليقيـتَ النَّـاس والعُجْـم معـا
كـلُّ مـنْ يغـرسُ مخضـرَّ الشَّجـر ... فيـه لـلإنسـان ظـلٌّ وثمـر

كل من يَنْبِطُ بئراً في السبيل ... تنفعُ الظمآن من حرِّ الغليل
كلّ من يبني بناءً حسنا ... كلُّ من في صنعه قد أتقنا
كلُّ مَنْ أحدثَ علماً للبشر ... ينفعُ الناسَ ولم يقصدْ لشرّ
كلُّ من أحدث فكراً مُحكما ... يبتغي للناس خيراً عمما
كلُّ مَنْ جدَّ وإنْ لم يجد ... لم يضع وقتاً بلهوٍ ودِدِ
كلُّ من أثَّر فيها أثرا ... خالداً للخَيْرِ ما بينَ الورى
كلُّ من في دهره قد أجملا ... فكرةً أو قولةً أو عملا
كلّهُم لله نِعْمَ العابدُ ... كلُّهم للخيرِ نعْمَ القاصدُ
فاصطنع للخيرِ فكراً ويدا ... ولساناً وابغِ في الخير يدا

***

لا رهبانية في الإسلام

ليس منا من ثوى في صومعه ... يحبسُ الأعمال والفكر معه
ضاق نفساً عن مجالٍ وسعا ... فثوى في ضيقهِ قد خَنَعا
ليس شيئاً أنْ تُرَى معتزلا ... عابداً تخشى البرايا وجِلا
إنَّما العابد منْ خاضَ الحياة ... موضحاً فيه سبيلاً للنَّجاة
آخذاً بالعَدْلِ ما عنه حِول ... ذاكراً مولاه في كلِّ عمل
إنَّه بالحق موصولٌ ومَنْ ... يتَّصلْ بالحقِّ لا يخشَ الفتن
ثورةٌ مضمرةٌ في حلمه ... إنْ يفكِّرْ ظالمٌ في ظلمه
أرأيت الصَّقْرَ في متنِ الرِّياح ... يطلبُ الرزق بعزمٍ وجناح
طائراً في الجو يسمو عازما ... لا يُرى حول الدَّنايا حائما
يأكلُ الجوع ولا يرضى الجيف ... لو يراه الجوعُ يوماً ما أسفّ
فإذا الجدُّ رماه في الشَّرك ... لم يطقْ صبراً عليه فهلك
ليس يحوي الحرَّ يوماً شبكُ ... فأسار الحرِّ فيه مهلكُ

يـا فتـى هـذا الجهـادُ الأكبـر ... عـزمـاتُ الحـرِّ فيـه تُخبـر
قـلَّ فـي النّـاس عليـه صـابـرُ ... ليـس إلا الحـرُّ فيـه ظـافـر
يـا أسيـر الـوَهْـمِ أقـدم لا تُبَـلْ ... وامـضِ فيمـن صـحَّ عـزمـاً واتَّكـل

* * *

معنى التَّوَكُّل

مَـنْ يَنَـمْ عـن سعيـه لا يتَّكـل ... إنَّمـا التكـلانُ سعـيٌ متَّصـل
مُقْـدمٌ فـي أمـره المتَّكِـلُ ... واثـقٌ بـالله فيمـا يـأمُـلُ
عـازمٌ مـاضٍ علـى خيـرِ سنـن ... لا يبـالـي بِعِقـابٍ أو مِحَـن[1]
أرأيـتَ الطَّيـر فـي نـورِ الصَّبـاح ... تطلـب الـرزق بعـزمٍ وجنـاح
إنَّهـا تخـرجُ فـي كـفِّ القـدر ... مقـدمـاتٍ لا تبـالـي بـالخطـر
طـالبـاتِ الـرزق فـي كـلِّ رجـا ... تمـلأ الجـوَّ وثـوقـاً ورَجـا
يـا لهـا مـنْ أمـلٍ قـد صـوَّرا ... طـائـراً يطلـب رزقـاً قُـدِّرا
أرأيـت العَـزْمَ فـي شكـل جنـاح ... خـافقـاً لا ينثنـي دونَ النَّجـاح
لا يصـد الطيـرَ خـوفُ التَّهلُكـه ... أو تبـالـي بطـريـقٍ مهلكـه
ضـرب المختـار هـذا مثـلا ... للـذي يسعـى عظيمـاً أمـلا[2]
أرأيـتَ الطَّيـر فـي أوكـارهـا ... راجيـاتٍ رزقهـا فـي دارهـا ؟
ثـاويـاتٍ تبتغـي أرزاقهـا ... ليـس تَـدْري مـنْ إليهـا سـاقهـا
مـن ونـى فـي سعيـه لـم يتَّكِـلْ ... إنَّـه للـوهـمِ والعَجْـزِ وكـل
إنَّمـا التُّكـلان عـزمٌ وعمـل ... إنَّـه الإقـدامُ فـي ضـوء الأمـل

---

(١) العقاب : جمع عقبة .

(٢) جاء في الأثر : لو توكلتم على الله حقَّ التوكل ؛ لرُزقتم كما ترزق الطير ؛ تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً .

إنَّـــه الإعـــداد والعـــزم معـــا ... إنَّـــه الحـــرُّ إلـــى القصـــد سعـــى
إنَّـــه التقـــديـــرُ فـــي سعـــي البشـــر ... هـــو عنـــدَ الله مـــنْ بعـــضِ القـــدر
هِمَـــمُ الأحـــرار فـــي إيمـــانهـــا ... سُنَـــنُ الخـــلاَّق فـــي أكـــوانهـــا
سنـــــةُ الله التـــــي لا تبـــــدَّلُ ... مـــا لهـــا كـــرُّ اللّيـــالـــي حـــوَّلُ

* * *

غفلة بعض المسلمين عن معنى التوكل

آهِ مـــنْ لـــي بقلـــوبٍ واعيـــه ... مُقْـدِمـاتٍ فـي المعـالـي سـاعيـه
آهِ مَـــنْ يفقـــه هـــذا الكَلِمـــا ؟ ... آهِ مـــنْ يـــدركُ هـــذا النَّغمـــا ؟
أيُّهـــا المسلـــمُ مـــاذا قَـــدْ عـــدا ؟ ... كنـــتَ فـــي الأرض جهـــاداً وَهُـــدى
آهِ للنُّـــور الـــذي قـــد طفئـــا ... آهِ للْقَلْـــبِ الـــذي قَـــدْ صَـــدِئـــا
آهِ للنَّـــار الـــذي تشتعـــل ... فيضـــيء الأرضَ منهـــا شُعَـــلُ
خَمَـــدتْ فـــالقلـــب بـــردٌ وهمـــود ... خَمَـــدَتْ فـــالنَّفـــس عَجْـــزٌ وركـــود
إنَّ هـــذا القـــول زِنْـــدٌ وحجـــر ... ليـت شعـري هـل لـديـه مـنْ شـرر
إننـــي أُضْـــرِمُ هـــذا الألمـــا ... علَّـه فـي القلـب يـذكـي ضَـرَمـا
إننـــي أنفـــخُ فـــي هـــذا السَّـــواد ... علَّ جمـراً محـرقـاً تحـت الـرَّمـاد
علَّنـــي أُذْهـــبُ هـــذا الخبثـــا ... علَّنـــي أمْحَـــقُ هـــذا العبثـــا
إنَّنـــي أبعـــثُ فيهـــم نغمـــي ... علَّنـــي أبْعـــثُ مَيْـــتَ الهمـــم
إنَّنـــي أُمْطـــرُ فـــي أرضٍ مـــوات ... علَّهـــا تُنْبـــتُ ألـــوان النَّبـــات

* * *

الأمل

لا تـــرانـــا فـــي جهـــادٍ نيـــأسُ ... لَيْـــسَ مِـــنْ أمَّتنـــا مَـــنْ يئســـوا

أشعل الإيمان في كلِّ دُجى ... واقدحِ العزم إذا الهَوْلُ دجا
وَارْفَعَنْ في كلِّ ليلٍ شُعَلا ... وابعثنْ مِنْ كلِّ يأسٍ أملا
وصلِ القَلْبَ بخلاَّق الرجاء ... واخلقَنْ في كلِّ حينٍ ما تشاء
إنما الإنسانُ فكرٌ وعَمَل ... يَصْدعُ الظلماءَ في نور الأمل
أمل الإنسان في القلب ضياء ... وهو في الكفِّ جهادٌ ومَضاء
إنَّه النَّار التي تَشْتَعِلُ ... إنَّه النَّجمُ الذي لا يأفُلُ
إنْ دَجَا باليأس ليلٌ غَيْهَب ... يَصْدَعُ الظُّلمةَ هذا الكوكبُ
هو وَحْيُ اللهِ يهدي عبده ... ويُرِيه في الدَّياجي قَصْدَه
هو نورُ اللهِ في أفق النجاه ... هو هدي اللهِ في هذي الحياه
إنَّه القُطب إليه يَنْزعُ ... كلُّ قلبٍ وإليه يَفْزعُ
إبرةٌ تهدي إلى قَصْدِ السبيل ... تَقْصدُ القُطْبَ وعنه لا تميل
يا دليلاً هادياً في كلِّ واد ... أنت سرُّ اللهِ في كلِّ فؤاد
يَقْدحُ القلبُ إذا ما خفقا ... شرراً منه منيراً مُحْرِقا
فهو نورٌ وهو نارٌ يَلْذَعُ ... يوضح النَّهج وفيه يَدْفعُ
فاؤْمُلْ لخيرٍ وصابرْ لا تملّ ... إنَّما الدُّنيا رجاءٌ وَعَمَل
وقضاءُ اللهِ عونُ الآملين ... وهو في عَوْنِ الأباةِ العاملين
لا يردُّ الله قلباً آملا ... لا يردُّ الله عبداً عاملا
ربَّ عبدٍ مخلصٍ قدْ أقسما ... فأبرَّ اللهُ مِنْهُ القسما[1]
وجهادُ العبد أولى أن يُبر ... إنَّه الفعلُ على القولِ أبرّ
إنَّ عزمَ الحرِّ فيه قَسَمُ ... مُضْمَرٌ يَعْلَمُه مَنْ يَعْلَمُ
قد تولَّى اللهَ هذا المقْسِمُ ... فدعاه في يقينٍ يقسم

* * *

(١) إشارة إلى ما جاء في الأثر : « ربَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره » .

الوجدان السليم

ذلك الوِجْدانُ إنْ لم يصدأ ... مِنْ غَشاواتِ الهوى أو يُطفأ
أو تحجبه رياحٌ عاتيه ... صَرْصَرُ الأهواءِ فيها سافيه
أو يجلِّلُهُ ظلامُ الغفلة ... أو يَحْجُبُه حِجابُ الشَّهوة
أيقظِ الوِجْدان يا مَنْ غفلا ... فمضى يحيا حياةً همـلا
أيقظِ الوِجْدان واسمعْ وَحْيَهُ ... أيقظِ الوِجْدان واتْبَع هديه
إنَّه المرآة ، إمَّا صُقِلا ... تبصرِ العالمَ فيه مثلا
اجْلُه بالفكر والعلم معا ... واجْلُهُ بالذِّكْرِ حتَّى يسطعا
لا تُضِعْ في السُّوق هذا الجوهرا ... لا تُطِعْ من باع فيه واشترى
لا تُضِعْ في لغوهم هذي الحِكَمْ ... لا تَغُلْ ضوضاؤهم هذا النَّغم
نحن في الدُّنيا حوانا مَهْمَهُ ... مَجْهلٌ أعلامه تشتبه
تقْصِد المنزلَ هذي القافله ... في فيافٍ خافَ فيها السَّابله
فاتْبَعَنْ خِرِّيتها لا تُبلِسِ ... وأصِخْ فيها لِصَوْتِ الجَرَسِ[1]
إنَّه الوِجْدَان في هذي الفلاه ... إنَّه داعٍ يُنادي للنَّجاه
أرأيتَ الفُلْكَ تسري ماخره ... في ليالٍ وبحارٍ زاخره
تهتدي فيها بِنُورٍ بارقِ ... من منارٍ في الدَّياجي خافقِ
تهتدي النَّهْجَ على لمحاته ... وتوقَّى الصَّخْر مِنْ ومضاته
وَهَدتْها إبرٌ لا تَغْفُلُ ... قاصداتٌ قطبَها لا تعدلُ
إنما الوِجدانُ في بحر الحياه ... إبرةُ القطبِ وَمِصْباحُ النَّجاه

***

---

(١) جرس القافلة ، وفيه إشارةٌ إلى قول سعدي الشيرازي ـ ما زمنز مقصود من خبريم ـ أبن قدرهست كه بانگ جرس ميآيد .

طغيانُ العقلِ على القَلْبِ

محنةٌ للناس هذا الزمنُ ... كلُّ إنسانٍ به مُمْتَحنُ
كلَّ ما نبصرُ فيه فتنُ ... فتنٌ فيها تحارُ الفِطنُ
أُطْلِقَ الإنسانُ مِنْ أغلاله ... سُيِّبَ الشَّيطانُ مِنْ أحباله
جُرِّدَ العالمُ من أستاره ... وانبرى يكشفُ عن أسراره
وأجال الفكرَ في طيَّاته ... ومضى يبحث في ذرَّاته
وأحاط الأرض من أقطارها ... ومضى يبحث في أغوارها
فارعاً في ظهرها أجبالها ... مخرجاً من بطنها أثقالها
طائراً في اللوح من فوق السَّحاب ... حيثُ لا يطمع صَقْرٌ أو عُقاب
طاوياً أقطارَها لا يغترب ... كل ما يسمو إليه يقترب
يَسْمَعُ الهمسَ بأقصى المغربِ ... منْ بأقصى الشَّرق فاسمعْ واعجبِ
ضاقت الأرض عليه فانتحى ... في ذُرى الأفلاك يبغي مسرحا

* * *

آه لو أُعطي قلباً خافقا ... مثل ما أعطي عقلاً بارقا
آهِ لو يعمر قلباً راحما ... مثل ما يَعْمرُ عقلاً راجحا
آهِ لو أعْمَرَ عيناً ساجمه ... مثلَ ما أعمل كفَّاً حاطمه
آهِ لَوْ هَذَّبهُ إيمانُه ... مثلَ ما مكَّنَهُ عِرْفانُه
آهِ لو سَيْطَر في أهوائه ... مثلَ ما سيطر في أجوائه
آهِ لو لم يُعْمِه طغيانُه ... فيهدِّم فوقَه بنيانه
ليتَهُ لم تُطْغِه أعمالُه ... ليته لم تُعْمه أموالُه
ليته لم تغْشه أضواؤه ... وتوقِرْ سمعَهُ ضوضاؤه
آهِ لو أنَّ شعاع الكهرباء ... في ظلام الصَّدر منه قد أضاء

ويلـــه مـــن مـــاردٍ قـــد دمَّـــرا ... مـــا بنـــاه مخـــربـــاً مـــا عمـــرا
ليتـــه حـــاط الـــذي قـــد شيـــدا ... بـــوئـــامٍ وســـلامٍ وهـــدى
ليتـــه حـــاطَ البـــلاد الـــزاهـــرة ... ليتـــه صـــان الجِنـــان النَّـــاضـــرة

***

إنَّ هـــذا العصـــرَ روضٌ مُـــزْهـــرُ ... كـــلُّ غُصْـــنٍ فيـــه نـــامٍ مثمـــرُ
نَضـــرتْ فيـــه فنـــون الـــزَّهـــر ... أيْنَعَـــتْ فيـــه ضُـــروبُ الثَّمـــر
آهِ لكـــنْ فـــي مهـــبِّ العـــاصفـــة ... كـــلَّ حيـــنٍ تعتـــريـــه جـــائفـــة
صَـــرْصـــرٌ تـــأتـــي عليـــه لا تَـــذَرْ ... تَحْطـــم الأغصـــانَ فيـــه والشَّجـــر
يَخْـــرُبُ البستـــان مـــنْ قـــد غـــرســـا ... يَهْـــدِم البُنيـــانَ مـــنْ قـــد أسَّســـا
كـــلُّ طـــاغٍ يـــدَّعـــي البستـــانَ لـــه ... يبتغـــي الأشجـــار والبنيـــانَ لـــه
لـــو تـــآخـــوا ورَضُـــوا بـــالمعـــدلـــه ... وجنـــوا فـــي غيـــر بغـــيٍ أكُلَـــه
لـــو تـــآخَـــوْا واهتـــدَوْا واستثمـــروا ... ثـــمَّ أسمـــىٰ عـــدلُهـــم مـــا دمَّـــروا
لأوَوْا مِنْـــه إلـــى ظـــلٍّ ظليـــل ... ورأوا فـــي زهـــره كـــلَّ جميـــل
وجنـــوا أثمـــاره وانتفعـــوا ... ونمـــا بستـــانهـــم فـــاستمتعـــوا
فتعـــالـــوا ننظـــرِ الـــدَّاء العصـــيّ ... ونـــرى الأسبـــاب فـــي الـــداء الـــدَّويّ
إنَّ هـــذا الشِّعـــر لا يحصـــي العِلَـــل ... إنَّـــه يعيـــا بـــذا الأمـــرِ الجَلَـــل
إنَّـــه لمحـــةُ عيـــنٍ عـــابـــره ... ليتـــه كـــفُّ طبيـــبٍ مـــاهـــره
إنَّـــه نفثـــةُ نفـــسٍ شـــاعـــره ... ليتهـــا كـــفُّ حكيـــمٍ قـــادره

***

البيت

معبـــــدٌ لله مـــــا أطهـــــره ... فيـــــه ســـــرُّ الله مـــــا أظهـــــره
روضـــــةٌ يَنْبُـــــتُ فيهـــــا الخَلِـــــقُ ... وتـــــرى الحـــــقُّ عليهـــــا يُشْـــــرِقُ

تنشأ الخيراتُ فيه وتربّ ... من رأى الخير له أمٌّ وأبّ !
أنفسٌ فيه كنفسٍ واحده ... ألفتها في حماها الوالده
بل شكولٌ مُثلِّث للوالد ... كالمرايا حولَ وجهٍ واحد
كلُّها حبٌّ وإيثارٌ فلا ... حسدٌ فيها ولا حقدٌ ولا
فأخٌ يفدي أخاه جاهدا ... وكلا الصنوين يفدي الوالدا
وترى الأمَّ عليهم حانيه ... تَسْهَرُ اللَّيل إليهم رانيه
وأبوهم في غدوٍّ ورواح ... يبسط الحبَّ عليهم والجناح
روضةٌ للحبِّ فيها مثُلا ... كلُّ غصنٍ بأخيه اتصلا
كلُّ خيرٍ هاهنا منبعه ... كلُّ برٍّ هاهنا مطلعه
مَسْجِدٌ يَسْعَدُ فيه الوالدان ... وهما الخلَّاقَ فيه يَعْبُدان
يَعْبُدُ الرَّحمنَ من قد عبدا ... والديه وإلى البرِّ اهتدى
فإلى توحيده مِنْ غيرِ بَيْن ... قَرَنَ الرَّحمن برَّ الوالدين
إن تشاؤوا مثلاً لا يُدفَعُ ... بيِّناً كالشمس نوراً يطلع[1]
فاقرؤوا يا قومنا كي تشهدوا ... ﴿ وقضى ربُّك ألا تعبدوا ﴾
﴿ واعبدوا الله ﴾ فهيا فاقرؤوا ... ﴿ قل تعالوا أتلُ ﴾ فيها النبأ[2]
أحكموا الأسرةَ مِنْ قرآنها ... وارفعوا بالدِّين مِنْ بنيانها
واعمروا البيت ببرٍّ ووفاء ... وسلامٍ ووئامٍ وإخاء
إنَّ هذا البيت في نظم الأمم ... مثل بيت الشعر في نظم النَّغم
كلُّ بيتٍ أُلِّفَتْ آحادُه ... آزرت أسبابُه أوتادَه

---

(١) الآية : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

(٢) الآيتان : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء : ٣٦] ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

ونِظـام البيـتِ مِـنْ نظـم الكَلِـم ... كـلُّ لفـظٍ بـأخيـه يَنْتَظـم
كـلُّ لفـظٍ مـن حـروفٍ أُلِّفـا ... كـلُّ حـرفٍ بـأخيـه ائتلفـا
ونظـامـاً واحـداً يُبنـى القصيـد ... ليـس فيـه مـن قصـورٍ أو مـزيـد
فـي قـوافٍ أُلِّفَـتْ أبيـاتهـا ... ورويٍّ نـاظـمٍ أشتـاتهـا
ومعـانٍ بعـد هـذا غـاليـه ... تـرتقـي الأنفُـس فيهـا عـاليـه
هـل رأيتـم قـطُّ مِـنْ شعـرٍ رفيـع ... كـلُّ بيـتٍ فيـه ذو معنـىً وضيـع
كيـف تُبنـى للمعـالـي أُمَـمُ ... مـن بيـوتٍ جمعهـا لا يُنظـمُ
مـن بيـوتٍ فـي خـلافٍ وشقـاق ... يـؤذنُ البيـتُ أخـاهُ بـالفـراق
كـل بيـتٍ فيـه لفـظٌ ثـائـر ... كـلُّ لفـظٍ فيـه حـرفٌ نـافـر
لا تقـلْ فيهـا زحـافٌ وعلـل ... بـل شـذوذٌ وسنـادٌ وخَلَـل

***

ليـت شعـري مـا أصـاب المسجـدا ... مـا أصـاب الخيـرَ فيـه والهـدى
لا أرى جمعـاً لـديـه نُظِمـا ... لا ولا صفَّـاً لـديـه قـوِّمـا
مـا أحـسُّ اليـومَ تـرتيـلَ القُـرَان ... لا ولا أسمـعُ تـرجيـعَ الأذان
خَـرِسَ المنبـرُ عـنْ أصـواتـه ... عطـلَ المحـرابُ مـن آيـاتـه
ذهـبَ العبَّـادُ عنـه قـددا ... ومضـوا فـي كـلِّ أفـقٍ بَـدَدا
غَلَـبَ الملهـى عليـه والطَّـريـق ... ومضـى فـي غَيِّـه كـلُّ فـريـق

***

روضـةُ البيـتِ أراهـا ذاويـه ... كـانـت الأمـسَ زهـوراً زاهيـه
صـوَّحَـتْ أعشـابُهـا والشَّجـر ... وذَوَتْ أوراقُهـا والـزَّهـر
صَـدَفَـتْ عنهـا عيـونٌ واقيـه ... وحمتهـا المـاءَ أيـدٍ سـاقيـه
غـاب بستـانيُّهـا دون إيـاب ... فطغـى الشَّـوكُ عليهـا والتُّـراب
إنَّهـا يـا قـومنـا إحـدى الكبـرُ ... أنْعِمـوا التفكيـر فيهـا والنَّظـر

هـي أصـل الـدَّاء أو أصـل الـدَّواء نعمـةُ الأقـوام فيهـا والشَّقـاء

* * *

اعمـروا بـالخيـرِ هـذا المسجـدا وابتغـوا الخيـراتِ فيـه أبـدا[1]
اعمـروا البيـتَ وردّوا والـديـه واجعلـوه حـرمـاً يـؤوى إليـه
نضِّـروا الـرَّوضـةَ مـن إروائهـا وابتغـوا النِّعمـة فـي أفيـائهـا
أرجعـوا الطيـرَ إلـى أوكـانهـا ليشـبَّ الـولـدُ فـي أحضـانهـا
ألِّفـوا الأحـرف فـي كِلْمـاتهـا وانظمـوا الأمَّـة مـن أبيـاتهـا

* * *

تنافر الجماعة

إنَّنـا نُبصـر فـي كـلِّ مكـان حسـرةَ الأنفس فـي هـذا الـزَّمـان
مـن وجـوهٍ مـات فيهـا الخَفـرُ وعيـونٍ حـارَ فيهـا النَّظـر
يلعـن الـوجـه أخـاه نـافـرا يبغُـض الطَّـرفَ أخـاه نـاظـرا
قطَّعـوا مِـنْ بينهـم كـلَّ سبـب هجـر النَّـاسُ حيـاءً وأدب
ثـورةً تبصـرهـا كـلَّ طـريـق يتجلَّـى الهجـر فيهـا والعقـوق
ليسـت الأمُّ بهـا أمـا تـرى لا ولا الـوالـدُ فيهـا عـزّرا
لا ولا الأختُ لهـا حـرمتُهـا مـن أخيهـا وُقِـدَتْ حسـرتُهـا
لا صغيـرٌ قـد رعـى حـقَّ الكبيـر أو كبيـرٌ راحـمٌ ضعـف الصَّغيـر
فنـرى فـي قبحهـا أفعـالَهـا تسمـعُ الألفـاظ أصـداءً لهـا
تلـكَ فيـضٌ مـن قلـوبٍ فـي نفـور تقـدحُ النيـران منهـا فـي الصُّـدور
إنَّمـا النـاس صـلاحٌ وفسـاد بـالتئـامِ أو شِقـاقٍ وعنـاد
إننـا نبصـرُ آحـاداً ولا نبصـرُ الحُـبَّ بهـا متصـلا

---

(١) المسجد : هو الأسرة .

إنهـا الأعـداد فـي غيـر حسـاب ... لـم يـؤلفهـا على النَّهـجِ احتسـاب
ومـن الأعـداد بُغْـضٌ واختـلاف ... ومـن الأعـداد حـبٌّ وائتـلاف
ومـن الأعـداد حِقْـدٌ وشِقـاق ... ومـن الأعـدادِ رُحـمٌ ووفـاق
فـإذا سـارتْ على غيـر سَنَـن ... فهـي بغـضٌ وشقـاقٌ وفتـن
وإذا أَلَّفتهـا فـي قـاعـدة ... فـاستقـامتْ فـي طـريـقٍ واحـده
فهـي نظـمٌ وائتـلافٌ واطِّـراد ... وحسـابٌ بـالـغٌ كـلَّ مـراد
فـانظـروا مـا النَّظـم فـي أعـدادنـا ... وانظـروا مـا الجمـع فـي آحـادنـا
انظمـوا هـذي القلـوبَ النـافـره ... واجمعـوا هـذي الـوجـوهَ الثـائـره
املـؤوا الأنفـسَ خيـراً وهـدى ... واجمعـوا بـالحُـبِّ هـذا البـددا
اغسلـوا بـالحُـبِّ هـذا الـدَّرنـا ... أطفئـوا بـالـودِّ هـذا الضَّغنـا

***

مـا ينـالُ الحُـبُّ يـومـاً بـالهـوى ... إنَّمـا الأهـواء أسبـابُ النَّـوى
يجمـعُ الحـقُّ نفـوسـاً شـارده ... إنَّ للحـقِّ طـريقـاً واحـده
ليـس إلا الحـقُّ فـي جمـع القلـوب ... مـا سـوى الحـقِّ إليـه نستجيـب
أرضعـوهـا الحـقَّ فـي ألبـانهـا ... أشعـروهـا الحـقَّ فـي أحضـانهـا
واجعلـوهُ قبلـةً فـي كـلِّ حيـن ... لا تـزيغـوا عـنْ شمـالٍ أو يميـن
ومـن الحـقِّ إلـى الخيـرِ طـريـق ... ليـس إلا الحـقُّ للخيـر رفيـق
ومـن الخيـر إلـى الحـبِّ المسيـر ... ومـن الحـبِّ إلـى الجمـع المصيـر

***

لا يُـرى للحـقِّ إلا مَشْـرِق ... كـلُّ حـقٍّ مـن سنـاه يُشْـرقُ
ليـس للخيـرات إلا منبـعُ ... كـلُّ خيـرٍ مـن جـداه ينبـعُ
إنَّمـا للحـبِّ نهـرٌ واحـد ... كـلُّ ينبـوعٍ إليـه عـائـد
مَنْبـعُ الحـقِّ هـو الحـقُّ المبيـن ... بـاريٌ بـالحـقِّ كـلَّ العـالميـن
منبـعُ الخيـرِ هـو البـرُّ الـرَّحيـم ... بـرُّه فـي خلقـه فيـضٌ عميـم

منبعُ الحبِّ هو الله العلي ... هو مولى للبرايا وَوَلي
فأضيئوا النفس من إيمانها ... وانظروا الآياتِ من إحسانها
املؤوا الأنفس من نور اليقين ... وانظروا إبداعها في كلِّ حين
إنَّما الإنسان من لحمٍ ودم ... فيه قلبٌ كسراجٍ في ظلم
ذلك اللحم إلى ماءٍ وطين ... ذلك النُّور لربِّ العالمين
فإذا أطفىء فيه ذا الضِّياء ... فهو وحشٌ همُّه سفكُ الدِّماء
إنَّ هذا الجسمَ ذو وزنٍ وحد ... وبهذا القلب كونٌ لا يُحَدّ
هالكٌ مَنْ عاشَ في ضيقِ الجسدْ ... منْ يعشْ في وسعة القلب خَلَدْ
أنت في جسمك مِنْ طينٍ وماء ... أو قوامٍ فيه لحمٌ ودماء
أنت في الروح حياةٌ وطماح ... ورجاءٌ وجهادٌ وكفاح
أنت في قلبك سرُّ العالمين ... فيه أمرُ اللهِ للخلقِ مبين
لا يحدُّ القلبَ في الآفاق حدّ ... إنَّه يكبرُ عن وزنٍ وعد
أيُّها الغافلُ عن سرِّ الإله ... انظرنْ في القلبِ يوماً لتراه
ضاق عنْ أمرِ الإله العالمُ ... وحواه القلب ، هذا الخاتمُ
كلُّ ما أدركتَ منْ معنىً جميل ... كلُّ ما أبصرتَ مِنْ أمرٍ جليل
كلُّ ما أوعاهُ تاريخُ البشر ... من جلالٍ وجمالٍ وعبر
كلُّ ما سُجِّلَ عن أخياره ... كلُّ ما حُدِّث عن أبراره
هو نورُ الله في القلب الصغير ... أو تجلِّي اللهِ في الكونِ الكبير[1]
هو نبضُ القلبِ في الدُّنيا انتشر ... هو خفقُ القلب يرمي بالشرر
إنَّما الإيمان بالدُّنيا يدور ... فهو نار في دجاها وهو ثور
فاجعلوا مِنْهُ تباشيرَ المنى ... واملؤوا الآفاقَ منه بالسَّنا
ارفعوا الأنفسَ فيه صاعده ... ارفعوها عن معانٍ خامده
عن متاعٍ وطعامٍ وشراب ... ومعانٍ كلُّها نبتُ التُّراب

---

(١) الكون الكبير : القلب .

قيمة الإنسان قلبٌ لِلْعُلى ... لا رياشٌ ومتاعٌ للبلى
كلُّ ساعٍ قَدْرُه بغيتُه ... وزنُه بين الورى مَنْبتُهُ
أيُّها القانع دوداً في تراب ... حلِّقَنْ في جوِّها مثل العُقاب
أيُّها السادرُ في لهوٍ وَدَدْ ... منْ لهذا الكونِ في يومٍ وغَد
أنقذوا الإنسان من هذا الرَّدى ... أبصر الإنسان يا قومي هوى

* * *

أيُّها المسلمُ يا منْ خُلقا ... ليكونَ الحقُّ فيه خُلُقا
انهضنْ يا صاح بالعبءِ الثَّقيل ... أنت في الأرضِ عن الله وكيل
قد قضى الخلاَّق بالأمر إليك ... قسم الأرزاق يوماً بيديك
سطِّرنْ بالحقِّ في هذي البلاد ... واحكمنْ بالعدلِ ما بينَ العباد
أنقذِ الإنسان من هذا الشَّقاء ... وأزل من أرضنا هذا العناء
املأ الأرض بحبٍّ وصفاء ... وسلامٍ ووداٍد وإخاء
واحكمنْ بالحقِّ في أرجائها ... وانْعَمَنْ بالأمن في أفيائها
واملأ الآفاقَ حقّاً وسَنَا ... واملأنْ بالخيرِ آفاقَ الدُّنا
علِّمِ الإيمان والحقَّ العلي ... علِّمِ الإيثارَ والزهدَ الغني
زهدَ مَنْ يملك آلاف الألوف ... وهي في عينيه لغوٌ وزيوف
قولةٌ في الحقِّ أعلى عنده ... فعلةٌ في الخير أغلى عنده
كلُّ ما يمسكُ منها درهمُ ... كلُّ ما ينفق منها مغنمُ
هذهِ الأموالُ جمعاً يا بني ... لا تساوي ذلةَ الحرِّ الأبي
إنَّها اللعبةُ في عينِ الحكيم ... إنَّها الدِّرْهمُ في كفِّ الكريم
جوهراً يحسبُ من لا يعرفُ ... وهي عند العارفين الصَّدَفُ
إنَّما الجوهر قلبٌ قد أضاء ... وَسِعَ الأرضَ جميعاً والسَّماء
لا يعافُ الحرُّ أكلَ الطَّيبات ... آخذاً في الأرض كلَّ الثَّمرات
ربَّما استولى على أعدادها ... ربَّما أوفى على آمادها

آخـــذاً أو معطيـــاً لا يَشْـــرَهُ ... رابحـــاً أو خـــاســـراً لا يـــأبـــه
عبِّـــد الـــدُّنيـــا ولا تستعبـــده ... فـــاكهـــاً فـــي نعمـــةٍ لا تفســـده
حـــائمـــاً للـــرِّزقِ صقـــراً طـــائـــرا ... لا يُـــريـــغُ الـــرزَّاق فيهـــا صـــاغـــرا
فـــإذا شِيْـــمَ هـــوانـــاً فـــزعـــا ... مثـــل مـــا يَفْـــزعُ مـــن قـــد لُسعـــا
واستمـــدَّ العـــزَّ مـــنْ همَّتـــه ... واستثـــار النـــار مِـــنْ عَـــزْمَتِـــه
فـــإذا المـــاءُ لهيـــبٌ ودُخـــان ... وإذا الحلـــمُ ضـــرابٌ وطِعـــان
وإذا سُـــدَّ عليـــه كـــلُّ بـــاب ... فـــارقَ الـــدُّنيـــا إلـــى غيـــر إيـــاب
إنَّ مـــوتَ الحـــرِّ فـــي ذلتـــه ... وحيـــاةَ الحـــرِّ فـــي عـــزَّتـــه

***

قـــالَ لـــي شيـــخٌ وقـــورٌ ألمعـــي ... مـــن بنـــي ينبـــع شهـــمٌ عـــربـــي
كنـــتُ يـــومـــاً فـــي عيـــونٍ ونخيـــل ... في القرى من ينبع النخلِ الجميل
ومعـــي مـــنْ أهـــل نجـــدٍ نَفَـــرُ ... اصطيـــادُ الطَّيْـــر فيهـــمْ وطـــر
وإذا صقـــرٌ علينـــا حلَّقـــا ... ســـابحـــاً فـــي جـــوِّه قـــد خفقـــا
أســـرعَ الـــرفقـــةُ فـــي نَصْـــبِ الشَّـــركْ ... وســـمـــانـــى وضعـــوهـــا فـــي الشَّـــبـــكْ
وهـــوىٰ فـــانقـــضَّ هـــذا الأجـــدلُ ... بـــل هـــوىٰ هـــذا القضـــاءُ المنـــزلُ
فطـــوى سقطيـــه هـــذا المهلـــك ... وثـــوى فـــي حَبْلـــه يـــرتبـــكُ
وأتـــى الصَّيَّـــادُ للطيـــرِ الأسيـــر ... عينـــه فـــي اللَّـــوح لكـــنْ لا يطيـــر
ســـابـــحُ الجـــو بخيـــطٍ علقـــا ... ذلـــك الخفَّـــاق فيـــه أخفقـــا
ذلـــكَ الصَّيـــاد فـــي جـــوِّ السمـــاء ... صـــاده بـــالختـــل صيـــادُ القضـــاء
قـــاهـــرُ الجـــو بعـــزمٍ وجنـــاح ... بـــدَّلَ الشُّبَّـــاك مـــنْ مَتْـــن الـــرِّيـــاح
ضـــاقـــت الأجـــواء عنـــه مســـرحـــا ... كيفَ يرضى في إسارٍ مطرحا ؟
ثـــمَّ قـــالَ الشيـــخ جئنـــا ننظـــر ... لنـــرى الأجـــدلَ أنَّـــى يـــؤســـر
فـــإذا دمعـــةُ عيـــنٍ هـــاملـــه ... وإذا المهجـــةُ فيهـــا ســـائلـــه

ذا يسمَّى «الحرُّ» من بين الصُّقور ... لا يطيقُ الأسر من بين الطيور[1]
فكنِ الصَّقر الأبيَّ العاليا ... وكنِ الحرَّ الكريم الآبيا
واحذرنْ يا حرُّ هذي التَّهلكه ... احذرنْ من خوضِ هذي المعركه
إنَّها معركةٌ للأبطن ... ضلَّ في غوغائها ذو الفِطَن
في وغاها كلَّ حزمٍ ضيَّعا ... غابَ عنها العقلُ والقلبُ معا
لا تغرَّنْكَ مرايا بارقه ... وفنونٌ وعلومٌ خارقه
إنَّها رأسٌ بلا قلبٍ يسير ... إنَّها هرْجٌ ومرْجٌ وسعير
قد أضلَّ الغيُّ هذي الأمما ... فثوى إبليس فيها حكما
فدعاها في ظلامٍ تصطدم ... ورماها في ضلالٍ تحتدم

***

الشيوعية

أحدثُ الدَّعوات في هذي الأمم ... تسلُك الإنسان في سِلْكِ الغنم
تَعِدُ الإنسان بالمرعى الخصيب ... فيه عُشْبٌ ورُغاءٌ ونَبيب
تَعِدُ الإنسان أعشابَ الرَّبيع ... ثمَّ عيشٌ مثل ما عاش القطيع
يوعدُ المرعى ولا شيء له ... وعصا الرَّاعي تربه أُكْلَه
ليس يرغو سربُهم : أينَ المسير ... لا ، ولا يثغو إلى أينَ المصير
ويتمُّ الشِّبه فيه بالغنم ... قطعةٌ عن منبعِ الخير العَمِم
كفرُه بالله والخير وما ... فيه إنسانٌ عن العُجم سما
وضياعُ البيتِ منه والرَّحِم ... وحنانِ القلب من أختٍ وأم
كافرٌ بالله لا بالوثن ... كافرٌ بالسِّلمِ لا بالفتن
يبصر الظُّلمةَ عند الصَّنم ... عن ضياء الله والحقِّ عمي

---

(١) الحرُّ : نوع من الصقور قلَّ أن يعيش بعد إمساكه .

كلُّ ما في البيت من ودٍّ وحبّ ... لا يساوي عنده مكيالَ حَبّ
كلُّ ما يدعو أناسٌ بالشعور ... لا يساوي عنده كفَّ شعير
ذاكمُ السَّيرُ وهذا المنتهى ... أنعموا التفكيرَ يا أهلَ النُّهى

* * *

إقبال

بيَّنَ الإقبالُ منْ سرِّ الحياه ... وأزالَ السِّتر عن نورِ النجاه
بيَّن الإقبالُ منْ سير الزَّمان ... وأفاضَ النُّور من هدي القُران
بثَّ في النفس كلاماً منْ شَرر ... منه عشقُ الحقِّ في القلبِ استعر
فتقتْ نظراتُه كلَّ حجاب ... فرأى الدَّوحة من تحت التُّراب
ضاقتِ الآفاقُ عن نظراته ... ضجَّت الأفلاك من أنَّاته
وَصَلَتْهُ نفحةٌ منْ ربِّه ... فتجلَّى نورُه في قلبه
قد ثوى في قلبه كلُّ الجهات ... واستوى في فكره ماضٍ وآت
سال في ألحانه دمعٌ ودمُ ... والتقى الماءُ عليها والضَّرم

* * *

يا بَرودَ القلبِ خذْ مِنْ نارِه ... فالحياةُ الحقُّ في أشعاره
يا موات القلب خذْ من رجعه[1] ... يا جمودَ العين خذْ من دَمْعه
يا صغيرَ الهمِّ خُذْ من همَّته ... يا كليلَ العَزْم خُذْ من عزمته
يا أسيرَ اليأسِ خذْ آماله ... في دجى اليأس أثِرْ أقواله
أيُّها المسلم صعد في السماء ... وابلغنْ في جوِّها أعلى العلاء
وخذِ الإقدامَ منه والطِّماح ... وجناحاً قاهراً هُوجَ الرِّياح

---

(١) الرَّجع : المطر ، كماء ، جاء في القرآن .

ذا جلالُ الدِّين منْ خَلْفِ العُصور ... قـد أتـى فـي شِعْـرِهِ نـارٌ ونـور[1]
إنَّـــه الإســـلام فـــي عـــزَّتـــه ... إنَّـــه الإيمـــانُ فـــي قـــوَّتـــه
إنَّـــه القـــرآن فـــي أنـــواره ... إنَّـــه الفـــرقـــانُ فـــي أســـراره

* * *

بلِّغـي يـا ريـحُ فـي شـطِّ النَّـوى ... أدمعـــي قبـــراً بـــلاهـــور ثـــوى
وامـضِ يـا بـرق بـوجـدي وهيـامي ... أبلغـنْ قبـراً بـلاهـور سـلامـي
إنَّ : إقبـــالًا بـــلاهـــور أقـــام ... رحمـــةُ اللهِ عليـــه والسَّـــلام

* * *

دعاء

فـالـقَ الإصبـاحِ ربَّ المشـرقيـن ... بـاسـطَ الليـل وربَّ المغـربيـن !
أنـت فـي الصُّبـح ضيـاءٌ فـي جمـال ... أنـت فـي الليـل ضيـاءٌ فـي جـلال
نـاشـرَ الشَّمـس خِضَمَّـاً مـن ضيـاء ... طـاوي الـذَّرةِ شمسـاً فـي خفـاء
أنـت نـورٌ فـي ظهـورٍ وجـلاء ... أنـت نـورٌ فـي حجـابٍ وخفـاء
يـا جليسـاً فـي دُجـى أستـاره ... يـا خفيـاً فـي ضُحـى أنـواره
يـا أنيسـاً فـي قلـوبِ العـارفيـن ... وحيـاةً لقلـوب الغـافليـن
يـا ضيـاءَ العيـن فـي النـور العمـم ... وضيـاءَ القلـب فـي داجـي الظُّلـم
قـربُـك المؤنـس فـي هـذي القفـار ... هـديـك المنقـذ فـي هـذي البحـار
نـاظـمَ الكـونِ البليـغِ المبـدعـا ... محسنـــاً مطلعَـــه والمقطعـــا
خلقُـــك الألفـــاظُ فيـــه وافيـــه ... أمـرُك الـوزنُ لـه والقـافيـه[2]
كـلُّ لفـظٍ فيـه نُظَّـارٌ إليـك ... كـلُّ معنـى فيـه بـرهـانٌ عليـك

---

(١) مَولانا جلال الدين الرومي ، والشاعر يعترف باقتدائه به .
(٢) في القرآن الكريم : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

منكَ هذا العقلُ ، هذا الثَّائرُ ... طالبٌ إيَّاك ساعٍ حائرُ
جاوز الأفلاك يسعى نحوكا ... يَكْشفُ الأستار يبغي وجهكا
منكَ هذا القلبُ ، هذا الخافقُ ... في الدياجي منك نورٌ بارق
ذاكرٌ إيَّاك راجٍ كلَّ حين ... خفقُه ذكرٌ وشوقٌ وحنين

* * *

اجعلن عقلي ضياءً ثاقبا ... يَصْدَعُ الباطل حقّاً صائبا
واشددَنْ فكري بصدقٍ وسداد ... واحبُني التوفيقَ في كلِّ مراد
واملأنْ قلبي بحبٍّ وصفاء ... واحْفَظَنْهُ منْ شقاقٍ ومِراء
وارْفَعَنْ في الحق صوتي عاليا ... وجناني فيه عضباً ماضيا
واجْعَلَنْ وجهك قصدي لا سواه ... هوِّنَنْ في عين قلبي ما عداه
وامنح المسلم قلباً خافقا ... واحبُه بالعلم عقلاً بارقا
امْنَحَنْهُ العقلَ والقلبَ السَّليم ... واهده ربِّ الصراطَ المستقيم
واجْعَلَنْهُ في البرايا حكما ... قاضياً بالعدلِ إمَّا حكما
اجْعَلَنْهُ قائداً بين البشر ... هادياً للخير لا يسعى لِشَر

* * *

أنقذِ الإنسان من هذي الغُمَم ... أنْجِيَنْ مِنْ بغيها هذي الأمم
هدم الإنسان ما قد عمرا ... حينما أمَّر عقلاً كفرا
فاهدِ بالإيمان عقلاً حائرا ... واجعلِ القلب عليه آمرا
أدْرِكِ النَّاس بحبٍّ ووئام ... إنَّك الدَّاعي إلى دار السلام(١)(٢)

* * *

---

(١) في القرآن الكريم : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس : ٢٥] .

(٢) تمت الترجمة عشية يوم الجمعة السابع من رجب سنة ١٣٧٠ من الهجرة ، في مدينة كراچي . ولله الحمد أولاً وآخراً ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] . المترجم الدكتور عبد الوهاب عزام .